١ ــ جـزيـرة العــرب

سكن جزيرة العرب من القديم جماعات من البشر في عدة مناطق منها ماباد مثل طسم وجديس في نجد (اليمامة)، وعاد (قوم هود) في الأحقاف، وثمود (قوم صالح) في وادى القرى، ومدين (قوم شعيب) في الشمال الغربي من الجزيرة في بلاد مدين. وقامت فيها بعض المراكز الحضارية مثل مكة، والطائف، ويثرب في القسم الغـربي، وحجـر (الرياض) في الوسط، ودومة الجندل في الشمال. كما تأسست فيها بعض الممالك مثل معين، وسبأ، وحمير في بلاد اليمن، وكنده في الوسط في القسم الجنوبي منه.

وجاء الإسلام، وعمّ جزيرة العرب في عهد رسول الله ﷺ، ثم نجم النفاق وحـدثت الـردة بعـد وفاة رسول الله ﷺ. وقام أبو بكر رضي الله عنه فقاتل المــرتديــن ومـانعي الـزكاة وأعاد الإسلام إلى الجزيرة، وانطلق بالمسلمين إلى الفتوحات، وخرجت أعداد كبيرة من الجزيرة للجهاد في سبيل الله، واستقرت جماعات منها في البلدان المفتوحة. وتتابعت الفتوحات في العهد الراشدي الذي كانت المدينة المنورة حاضرته ومكان انطلاق المجاهدين، باستثناء مدة قصيرة كانت الكوفة قاعدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أواخر عهده.

وفي العهـد الأموي انتقلت عاصمة المسلمين إلى دمشق .... وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حدثت بعض القلاقل في الجزيرة العربية أيام ابنه يزيد، إذ ضربت المدينة، وحوصرت مكة المكرمة، ولم يلبث أن توفي يزيد في دمشق، وقام أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة ودانت له الجزيرة، ثم انفصل الخوارج، وسيطروا على اليمامة والبحرين. ثم صفا الجو لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة، وعادت الجزيرة جزءاً من الدولة الإسلامية الواسعة التي عاصمتها دمشق. كما انتهى عبد الملك من الخوارج في شرقي الجزيرة. ولما ضعفت الدولة الأموية طمع بنو حنيفة بالاستقلال في نجد، وطلب المهير بـن أبي سلمى ابن هلال الحنفي من والي بني أمية على المنطقة وهو (علي بن المهاجر) مغادرة المنطقة فرفض، فجمع

المهير جيشاً وساربه إلى الوالي في (حجر) قاعدة المنطقة إلا أنه هزم، وعند موته استخلف عبد الله بن النعمان الذي كان ضعيفاً فاستطاع يزيد بن عمر بن هبيرة أن يخضع نجداً، وأن يرسل ابنه المثنى والياً عليها عام ١٢٨هـ ، وقد بقي حتى قامت دولة بني العباس.

عيَّن السفاح عمه داود بن علي والياً على جزيرة العرب إلا أن هذه الولاية كانت اسمية، وخاصة نجد التي بقي فيهاالوالي الأموي المثني بن يزيد بن عمر بن هبيرة. ولما توفي داود بن علي أرسل السفاح مكانه زياد بن عبيد الله الحارثي فوصل إلى المدينة، وأرسل إلى نجد إبراهيم بن حسان السلمي فقتل المثنى ودانت الجزيرة كلها للعباسيين.

قامت بعض التمردات مثل تمرد بني نمير عام ٢٣٢هـ أيام الواثق، ولكن قضي على هذا التمرد بسرعة، ومن ثم ضعفت الدولة العباسية.

قام في الحجاز إسماعيل السفاك بن يوسف الطالبي عام ٢٥١ هـ في الحجاز ولما توفي في العام الثاني ٢٥٢هـ قام بعده أخوه محمد الأخيضر بن يوسف، ولما كثرت تعدياته أرسل له العباسيون جيشاً فانهزم وسار إلى نجد وأسس فيها الدولة الأخيضرية التي قاعدتها الخضرمة.

خضعت الحجاز للدولة الطولونية عام ٢٥٤ هـ واستمروا في حكمها حتى عام ٢٩٠ هـ حيث عاد العباسيون، ولكن القرامطة عاثوا الفساد في الحجاز في هذه الآونة وأخذوا الحجر الأسود إلى مدينتهم هجر عام ٣١٧ هـ .

ووصـل نفـوذ الإخشيديين إلى الحجاز عام ٣٣٠ هـ وبعد خمسة أعوام عاد الأخيضريون إلى الحجـاز، ولكن أنهى القرامطة حكم الأخيضريين هناك عام ٣٥٠ هـ ، بينما أبقوه في نجد.

وجاء الفاطميون عام ٣٥٩ هـ وأجلوا القرامطة عن الحجاز، واستمروا فيها حتى جاء السلاجقة عام ٤٦٣ هـ ، وورثهم الأيوبيون عام ٥٦٧ هـ ، ثم المماليك عام ٦٥٠ هـ ثم جاء العثمانيون عام ٩٢٣ هـ .

هذا بالنسبة إلى الحكومات أو الدول الأساسية، أما الحكم فقد كان بيد أسر تعود إلى بني الحسن بن علي بن أبي طالب عادة، فقد حكم الحجاز بعد زوال

القرامطة عام ٣٥٩ هـ أسرة بني موسى، وتنتسب إلى الحسن بن على رضي الله عنهما، واستمر أمرها حتى عام ٤٥٣ هـ ، ويعد أمراؤها من عمال الفاطميين. ثم آل أمر الحجاز إلى أسرة بني فليتة، ويعودون أيضا في أصلهم إلى الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقوا في إمارتهم حتى عام ٥٩٨ هـ ، وكانوا عمالاً للفاطميين ثم للسلاجقة. وجاء الأيوبيون أيام السلاجقة.

وفي عام ٥٩٨ هـ جاء أمير ينبع أبو عزيز من بني قتادة فقضى على حكم بني فليتة وأسس أسرة حكمت الحجاز حتى عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م)، وكان آخر أشرافها الحسين بن علي وابنه علي.

كانت شرافة مكة أيام أسرة بني قتادة قوية تصل إلى عسير أحياناً، وتنكمش عنها أحياناً أخرى فيحتل العسيريون أجزاء من أطراف الحجاز، وقد تتنازع الحجاز واليمن على عسير، كذلك كانت تمتد سلطة بني قتادة أحياناً إلى نجد فتدين لهم الإمارات بالطاعة أو تقف في وجههم إمارات أخرى، ولربما وصل نفوذ هؤلاء الأشراف إلى البحرين.

وعندما قامت الدعوة السلفية في نجد وقفت شرافة مكة في وجهها في الحجاز ووقع قتال بين الطرفين، أما الإمارات الصغيرة الواقعة بين نجد والحجاز فكانت تارة تعاون الحجاز إذا وجدت في ذلك مصلحة لها، وتقاتل نجدا، وتنضم أحياناً إلى نجد ضد الحجاز إذا وجدت كفة نجد هي الراجحة.

أما نجد فقد انتهي حكم الأخيضريين فيها بزوال دولة القرامطة التي قضى عليها السلاجقة الذين سيطروا على بغداد عام ٤٤٧ هـ ، وقضوا على نفوذ البويهيين الذين كانوا من الشيعة، كما قضوا على الحركات الشيعية الأخرى التي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، منها المتطرفة أمثال القرامطة، والحمدانيين في حلب، والفاطميين في مصر، والبويهيين في بغداد، ومنها المعتدلة أمثال الأخيضريين في نجد، وزال حكم الأخيضريين من نجد عام ٤٦٧ هـ . وضعف الأمر في المنطقة، وانقسمت إلى امارات صغيرة لا يزيد بعضها أحياناً على مدينة واحدة وما حولها ووقوع الصراع بين هذه الامارات فكان بعضها يخضع إلى بعضها الآخر، وقد تمتد سلطة الحجاز إلى نجد أو يتسع نفوذ البحرين ليضم عددا من إمارات نجد، وأخيرا خضعت نجد اسمياً للدولة العثمانية ولكن

الإمارات المتعددة بقيت على حالتها والتنافس بينها استمر على طبيعته، ودام الأمر حتى ظهرت الدعوة السلفية وقامت الدولة السعودية.

أما البحرين (شرق الجزيرة العربية) فقد وفد إلى المدينة المنورة وفد بني عبد القيس في السنة السابعة للهجرة، وأسلموا. وعندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتد في البحرين بنو بكر بن وائل، وثبت بنو عبد القيس، وتمكن المسلمون من إحراز النصر على المرتدين بمساعدة القوة التي أرسلها لهم الصديق رضي الله عنه بإمرة العلاء بن الحضرمي. واشترك سكان البحرين بالفتوحات، ووصل بنو عبد القيس الى الهند بالقرب من بومباى وإلى سيلان في غزواتهم، وكانت آخر غزوة لهم في العهد الراشدي أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث ساروا بإمرة الحارث بن مرة العبدي وحصلوا على النصر وأصابوا مغانم كثيرة.

وفي العهد الأموى سيطر الخوارج بإمره نجدة بن عامر الحنفي على البحرين، وقد اتخذ القطيف قاعدة له. ثم ولي مكانة أبو فديك أحد أنصاره السابقين، وهو من الخوارج أيضاً، واستمر في حكمه حتى أرسل له عبد الملك جيشاً قضى عليه عام ٧٣ هـ . وخرج بعد وفاة عبد الملك مسعود بن أبي زينب العبدي، ولكن مسعوداً لم يلبث أن قتل في معاركه مع الأمويين، وصار أمر الخوارج من بعده إلى هلال بن مدلج، وثار بالخوارج المهير بن أبي سلمى بن هلال واستولى على البحرين، وفرّ منها واليها علي ابن المهاجر . . . وعندما مات المهير خلفه عبد الله بن النعمان، إلا أن الأمويين ولوا على اليمامة المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة فاستطاع ضم البحرين إليها.

وفي العهد العباسي كانت ولاية الجزيرة إلى داود بن علي عم الخليفة السفاح، ولكن كانت ولايته اسمية وبقيت البحرين تحت سلطة المثنى بن يزيد، وعندما توفي داود بن علي تولى أمر الجزيرة زياد بن عبيد الله فاستطاع أن ينتصر على المثنى، وأن يضم البحرين إليه.

وثارث البحرين على المنصور بإمرة سليمان بن حكيم العبدي عام **١٥١ هـ إلا** أنه قتل بعد ستة أعوام وعادت البحرين تخضع للعباسيين حتى عام **١٩٠ هـ** حيث خرج فيهـا سيف بن بكـير العبدي ولكنه قتل. **وعندما ضعفت الدولة**

العباسية بعد أيام المتوكل أصبح للبحرين تاريخ منفصل وإن بقيت اسمياً تتبع الدولة العباسية.

ومنذ عام ٢٤٩ هـ بدأت حركة الزنج في منطقة البحرين بمدينة هجر، وتبعتها حركة القرامطة منذ عام ٢٨١ هـ وكان مقرها مدينة القطيف، واستمرت دولتهم حتى عام ٤٦٧ هـ ، ومن البحرين امتدت الى أرجاء واسعة حتى وصلت إلى بلاد الشام.

وجاءت بعد القرامطة الدولة العيونية، وبقيت حتى عام ٦٤٢ هـ إذ خلفهم بنو عقيل في حكم البحرين، واستمروا في سلطتهم حتى وصل البرتغاليون إلى المنطقة وقتلوا مقرن بن أجود بن زامل عام ٩٢٧ هـ ، ولكن بقي بعض زعماء بني عقيل يحكمون تحت إشراف البرتغاليين.

وجاء العثمانيــون فحكموا البحرين منذ عام ٩٤٥ هـ ، ثم عاد البرتغاليون ثانية واحتلوا القطيف، وهجر، وجزيرة أوال، وتاروت، وسيهات، غير أنهم هزموا ثانية أمام العثمانيين عام ٩٤٤ والذين بقوا في البحرين حتى عام ١٠٨١ هـ حيث استقل بنو خالد، واستمروا في وضعهم حتى عام ١٢٠٨ حيث جاء السعوديون الذين بدأت غاراتهم على المنطقة منذ عام ١١٦٦ هـ ، كما أنهم كانوا يغيرون أيضاً على نجد من جهةٍ ثانية.

أما عسير فقد كانت جزءاً من الحجاز وأحياناً تتبع اليمن مدة الخلافة الراشدية والأموية، وكانت موطن قبائل أزد شنوءة، فلما دالت دولة بني أمية، وقامت دولة بني العباس، وبدأت ملاحقة الأمويين فَر عدد من أمراء بني أمية إلى جهات مختلفة، ومنها عسير، فقد سار إليها علي بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وتحالف مع قبائلها، واستطاع بعد مدة وجيزة أن يكـون صاحب الكلمـة المسمـوعة، وصاحب النفوذ، ثم ثار ضد الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي، فاتجه إليه الجيش العباسي السائر إلى اليمن بقيادة عبدالرحمن الغامدي فقتله عام ١٦٩ هـ ، وضعف شأن أهله من بعده إلا أنهم تماسكوا وعاد لهم نفوذهم، وبقوا سادة المنطقة، وإن كانت الخلافات تقع أحياناً بين أفراد هذه الأسرة، كما حدث عام ٦٥٢ هـ إذ اختلف صقر بن حسان مع ابن عمه علي بن إبراهيم، وفي خلال هذه الخلافات يضعف أمرهم، فإذا كانت

قوة الحجاز قوية سيطرت على المنطقة، وإن كانت اليمن قوية ساد نفوذها أو اختلفت اليمن والحجاز على المنطقة، وإن كانت كلتاهما ضعيفة مثل عسير فإن كل منطقة تبقى بحالتها لا تتفرغ لغيرها ولا تهتم بشؤون خارج دائرتها الى أن يقوى أمر إحداهما. واستمر وضع عسير هذا حتى انتشرت في ربوعها الدعوة السلفية، واصطدم أتباعها بأمير المنطقة من آل يزيد محمد بن أحمد بن محمد فقتلوه عام ١٢١٦ هـ وأصبح محمد بن عامر المتحمي من أتباع الدعوة السلفية سيد المنطقة، ولكن أفراد الأسرة الأموية قد انضموا إلى الدعوة السلفية وأخلصوا لها فعادت إليهم إمرة المنطقة، ومنهم سعيد بن مسلّط، وعلي بن مجثّل، وعائض بن مرعي، الذي أسس أسرة حكمت المنطقة، وانتهت عندما قامت الدولة السعودية الثالثة عام ١٣٤٢ هـ .

هذه المناطق الأربع: الحجاز، ونجد، وعسير، والمنطقة الشرقية تشمل أكثر أجزاء الجزيرة العربية، ومنها تشكلت المملكة العربية السعودية التي سنتحدث عنها الآن، أما بقية الأجزاء فسنتحدث عن تطورها - إن شاء الله - عندما نتحدث عن الدول التي قامت فيها.

أ ــ المملكة العربية السعودية

كانت الفوضي تعمّ أرجاء الجزيرة العربية كلها في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، بل كانت أحوال العالم الإسلامي على حالة لايحسد عليها أهله. ومن هذه المناطق نجد بصفة خاصة فالفوضى السياسية قائمة ففي كل بلد أمير، وفي كل ناحية حاكم يأخذ مايحلو له من الثمار، وقد يأتي شريف مكة فيفرض نفوذه، وقد يسير حاكم الأحساء فيخضع الأمراء لسلطانه، وهم يتبعون له، ويغزو بعض الأمراء بعضاً، ويعتدي الجوار بعضهم على بعض، وغارات البدو لا تنقطع، وتسلّط القبائل وشيوخها على الحضر لاينتهي، وانتشار اللصوص في كل مكان لاحدود له، ووجود الخراب في الطرقات والدروب.

ولا يقل الجهل في الأمور الدينية عن الفوضي في النظام فتقديس القبور

والمظاهر الخاصة بذلك قائمة، والتعامل بالربا، وارتكاب الفواحش، والإكراه على تزويج البنات، وانتشار الخرافات، والتوسل بغير الله من أضرحة الصالحين الأولياء، والاعتقاد ببعض الأشجار والأحجار بأنها تكون سبباً في إنجاب الأولاد، أو إيجاد الزوج، وحفظ النسل إذا قام الطالب عندها ببعض التصرفات... كل هذا كان قائماً وزيادة من الأمور التي يجد المرء صعوبة في ذكرها، وكان لابّد من منادٍ للإصلاح وشاء الله أن يكون هذا المنادي الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي المولود في بلدة العينية[1] عام ١١١٥ هـ ، وكان أبوه قاضياً فيها، ثم انتقل إلى حريملاء[2] لاختلافه مع أمير العينية ابن معمر، وارتحل ابنه معه وذلك عام ١١٥٣ هـ ، وقد انصرف إلى التأليف حسب نصيحة والده الذي لم يلبث أن توفي، فقام ابنه يدعو الناس إلى ترك مادخل على الدين من بدع وخرافات، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ووجد أن الجو في حريملاء لايناسبه فقرر العودة إلى العينية، وساعده أميرها عثمان بن معمر في نشر دعوته، وقطعت الأشجار التي كان يتبرك بها الناس، إلا أن ابن معمر لم يلبث أن تنكر للشيخ بناء على طلب حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الذي كان ابن معمر يتبع له، ويتقاضى منه راتباً، فطلب ابن معمر من الشيخ أن يغادر بلده فارتحل إلى الدرعية[3] عام ١١٥٧، وكان أميرها محمد بن سعود منذ عام ١١٣٩ هـ ، فاستقبله ودعمه، ومنعه، وبدأ دعوته فغدت الدرعية مركزاً دينياً ومقراً للنشاط. وبدأت إمارة محمد بن سعود تتوسع وتأسست الدولة السعودية الأولى.

الدولة السعودية الأولى :

ضمت إمارة الدرعية إليها العينية وحريملاء وبعض المناطق، ووقعت صدامات مع الرياض، ومع حاكم نجران، والأحساء، وبعض الأمراء الآخرين، وكان قائد جيوش الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سعود.

توفي محمد بن سعود عام ١١٧٩ هـ بعد أن ضم إليه العارض عدا الرياض،

(١) العينية بلدة شمال الرياض تبعد عنها أربعين كيلو متراً.
(٢) حريملاء بلدة شمال الرياض على بعد ثمانين كيلو متراً.
(٣) الدرعية بلدة شمال الرياض على بعد عشرين كيلو متراً منها.

وأكبر بلاد الخرج، وحائر، والوشم، والمحمل، وسدير. وخلفه ابنه عبد العزيز فضم الرياض عام ١١٨٧ هـ ، والقصيم، والأحساء عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٧ م) ومكة والطائف عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م)، ووصلت إمارته الى جنوبى العراق، ودخل كربلاء، كما وصلت إلى جنوب بلاد الشام، وكان ابنه سعود قائد جيوشه، وفي عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) طعن بيد شيعية وهو يصلي صلاة العصر.

تولى ابنه سعود الحكم بعده، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م)، فغزا سعود جنوبي العراق في أواخر عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م)، ثم عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) وعام ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م)، وأرسل ابنه عبد الله في غزو آخر عام ١٢٢٥ هـ .

وانتشرت الدعوة السلفية في عسير، وكان أميرها محمد بن عامر، وتمكن من قتل أميرها عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وهو محمد بن أحمد بن محمد، ودخلت الحجاز في الطاعة، وأغار على أطراف الشام فوصل إلى مزيريب وبصرى وذلك عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م)، ومن ناحية الشرق وصلت الدعوة إلى عمان التي كانت تدخل في الطاعة بعض الأحيان، وتنقض العهد أحياناً أخرى. وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلى سعود، ولم يبق منها خارجاً عن الطاعة سوى جزيرة البحرين، وبعض مراكز النفوذ الانكليزي. إذ كانت الأحساء قد دخلت في الطاعة منذ عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٧ م)، واستولى طامي بن شعيب على تهامة، وكان يومها أمير عسير، كما أن إمام صنعاء المنصور وابنه المتوكل قد هادنا سعوداً واستجابا إلى شيء من الدعوة السلفية.

تأثرت الدولة العثمانية من الوضع الذي آلت إليه الجزيرة العربية، ولم يقو ولاتها في الشام والعراق على الوقوف في وجه الدولة السعودية، بل إن الدعوة السلفية قد بدأت تنتشر في كل مكان. فكلفت الدولة محمد علي باشا بقتال السعوديين ومحمد علي صاحب أطماع وتخافه الدولة العثمانية التي رأت ضربه بالسعوديين وضربهم به، وأعطته ولاية جدة ليبدأ الاحتكاك. فأرسل محمد علي باشا مندوباً له إلى الجزيرة العربية يستطلع الأوضاع الداخلية، ويتعرف على أحوال القبائل، ويتصل بالشريف غالب بن مساعد شريف مكة الذي صالح السعوديين، وأقرّ لهم بالطاعة وهل كان ذلك عن قناعةٍ وعقيدةٍ أم عن ضعف وخوف . ، ووصل

المندوب إلى الجزيرة بنية العمرة، ودخل مكة والتقى بالشريف فوجده على حذرٍ شديداً من السعوديين ويتربص بهم الدوائر، وهذا ما شجع محمد علي لحرب السعوديين.

أرسل محمد علي حملة قوامها ثمانية آلاف من المشاة وألفان من الفرسان مع ماتحتاجه من عمال وفنيين وطهاة وغيرهم، وكانت بقيادة ابنه أحمد طوسون الذي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، والذي سار مع الفرسان براً، وانتقل المشاة بحراً فسقطت مدينة ينبع بأيديهم عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م)، ثم اتجهوا نحو المدينة المنورة حسب نصيحة الشريف غالب الذي تنكر للسعوديين وقدّم خدماته كلها لجيش محمد علي.

وتقدم السعوديون بقوةٍ قوامها خمسة عشر ألفا، وقد انضم إليها أمير الطائف عثمان المضايفي وأمير عسير طامي بن شعيب، وانتصروا على الحملة المصرية في موقع الصفراء... إلا أن النجدات قد وصلت إلى طوسون بناء على طلبه، وأعاد الكرة وحاصر المدينة المنورة عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) وتمكن من أخذها، وسار بعدها إلى مكة المكرمة وجدة فدخلها بمعونة الشريف غالب، وأسر الأمير عثمان المضايفي.

وجاء محمد علي بنفسه الى مكة ليكون على مقربه من ميدان الأحداث وأقام فيها مدة، وقبض في أثناء ذلك على الشريف غالب وأمر بنقله إلى مصر ، ثم إلى سالونيك باليونان حيث بقي فيها حتى مات بها.

أراد المصريون التقدم نحو نجد فهزموا في (الحناكية) شرق المدينة، كما هزموا على محور الطائف مرتين في (تربة)، وأرسلوا حملة إلى عسير عن طريق القنفذة فهزمت كذلك، وفي زحمة هذه الأحداث توفي سعود بن عبدالعزيز وخلفه ابنه عبد الله عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م).

حاول المصريون تطويق عسير فهزموا من كلا الجانبين من الغرب ومن الشمال، ولكن في الوقت نفسه هزم السعوديون الشرق الطائف في (بسل) وكانوا بإمرة فيصل بن سعود، وكانت هزيمة منكرة فبدأ محمد علي يطاردهم، ويشنّ حرباً على القرى التي بدأت تستسلم للمصريين من الخوف الذي أصاب أهلها من ظلم محمد علي وطغيانه.

وتمكن المصريون من هزيمة عسير، وأسرطامي بن شعيب أمير المنطقة، ونقله مكبلاً إلى مصر ومنها إلى استانبول حيث صلب هناك.

وتقدم طوسون من المدينة شرقاً، ووصل إلى (الرس)، واستقر بالخبراء، والتقى بالسعوديين لكن صلحاً عقد بين الطرفين يقضى بوقف القتال، وانسحاب المصريين من نجد التي يستقل آل سعود بحكمها. وبقاء الحجاز لمحمد علي، وعدم منع أي حاج من تأديته فريضته. ورحل المصريون عن نجد، وسافر طوسون الى مصر، إلا أن محمد علي قد رفض الصلح، وسير حملة بإمره ابنه ابراهيم باشا، فالتقى بالسعوديين في شرق المدينة فانتصر عليهم، وتابع حتى دخل مدينة الدرعية مقر حكم آل سعود، وسلم عبد الله بن سعود نفسه في ذي القعدة من عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م). فأخذ إلى مصر، ومنها إلى استانبول حيث أعدم هناك، كما نقلت أعداد من آل سعود و آل الشيخ الى مصر، وهرب من تمكن منهم من الهرب، واختفى من اختفى، وهدمت الدرعية، وعاد إبراهيم باشا إلى القاهرة عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م).

وانتهت الدولة السعودية الأولى بعد أن توالى على حكمها أربعة حكام.

وعادت الفوضى إلى نجد، ورجعت الإمارات الصغيرة، وبقى آل خالد زعماء الأحساء في مركزهم، وتسلّط الأشراف من جديد على الحجاز. وبعد أن رحل إبراهيم باشا عن الدرعية انقض عليها أمير العينية محمد بن مشاري بن معمر وأخذ البيعة لنفسه، ثم تنازل لمشاري بن سعود الذي هرب من قافلة الأسرى وبايعه، لكنه لم يلبث أن قاتله وأسره وسلمه إلى الأتراك فقتلوه، وعاد ابن معمر يحكم الدرعية، وسار إليه تركي بن عبدالله[٤] فقتله عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م)، وجاءته قوة تركية دخلت الرياض فاضطر أن يغادرها عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م)، ثم رجع إليها وانتصر على الترك عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م).

الدولة السعودية الثانية :

استقر تركي بن عبد الله بالرياض، وأطاعه أهل نجد جميعاً، كما انتصر على بني خالد في المنطقة الشرقية فبايعته، وهكذا عادت الدولة السعودية من جديد، ولكن أصبح مقرها الرياض.

(٤) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود هرب إلى الخرج وتحصن فيها عندما كان إبراهيم باشا يحاصر الدرعية، ثم حكم الرياض أيام ولاية ابن عمه مشاري بن سعود، ثم غادرها بعد عودة ابن معمر إلى الحكم.

فر من مصر مشاري بن عبدالرحمن (ابن اخت تركي) عندما وصل إليه خبر تأسيس الدولة السعودية الثانية على يد خاله، ووصل إلى نجد عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م)، ثم تمكن فيصل بن تركي من الفرار أيضا، وكان عوناً لأبيه في توطيد دعائم الدولة، إذ كان قائد الجيوش.

كان فيصل بن تركي في المنطقة الشرقية يقاتل خصوم الدولة، ويحاصر الطائف وإذ يصل إليه مصرع أبيه في أواخر أيام عام ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) (٢٩ من ذي الحجة) على يد ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن وتسلمه السلطة في الرياض، ففك الحصار عن الطائف، ورجع إلى الرياض، واستعاد الحكم بعد أن قتل عبد الله بن رشيد قاتل تركي في مطلع عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م)، وأصبح فيصل إمام الدولة، ودانت له البلاد كلها.

ضعفت قوة محمد علي في الجزيرة إذ ثار ضده شريف مكة، وهزم في عسير أمام آل عائض، وقام ضده أهل جدة، وقويت دولة آل سعود من جديد، فأراد أن يضرب بعض هذه الحركات ببعض، وأن يفرق الأسرة الواحدة. واستطاع أن يخمد ثورة شريف مكة يحيى بن سرور، وأن يعزله ويولي مكانة محمد بن عبدالمعين بن عون، كما سيطر على جدة، إلا أنه هزم في عسير. أما بالنسبة لنجد فقد أرسل حملة بإمرة خالد ابن سعود أخي الإمام عبد الله بن سعود الذي استسلم إلى إبراهيم باشا وأعدم في استانبول، ولعل في هذا الأمر تكون طاعة أهل نجد لخالد ذكرى لأخيه الامام، واستطاع خالد فصلاً دخول الرياض، وخرج منها فيصل إلى الخرج، ومنها إلى المنطقة الشرقية. وأصبح خالد بن سعود أمير نجد، وفي الوقت نفسه اتبع خالد سياسة محمد علي في تفريق الأسر، فقد عزل عن حائل أميرها عبد الله بن رشيد صديق فيصل، وولي مكانه عيسى بن علي.

ثار عبدالله بن ثنيان على خالد، واستطاع دخول الرياض، ففر خالد إلى الأحساء، ومنها إلى الكويت، فمكة وبقي فيها حتى مات. وكان الذي مكّن ابن ثنيان من النصر كره الأهالي لخالد. وبسط ابن ثنيان نفوذه، وساعده على ذلك ضعف حكومة محمد علي في مصر بعد هزيمته في الشام، وانحصر نفوذه في مصر بعد توقيع معاهدة لندن، فانسحب المصريون من الجزيرة وخلا الأمر لابن ثنيان في نجد حتى عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م).

هرب فيصل من سجنة في مصر، وانتقل إلى الجزيرة العربية حيث مر على حائل، ونزل عند صديقة عبد الله بن رشيد، واتجه نحو الرياض فحاصرها ثم فتحت له أبوباها فقبض على ابن ثنيان وأودعه السجن حتى مات فيه عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م)، واستعاد هو حكمة، إذ دانت له نجد ثم المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) وصالح شريف مكة محمد ابن عون الذي وصل إلى عنيزة في نجد.

امتد نفوذ الإمام فيصل على أكثر الجزيرة : فنجد والمنطقة الشرقية ضمن دولته، وعمان تدفع له الزكاة، وفي عسير حكومة آل عائض تؤيده وتدعمه، وقد شملت سلطتها تهامة وأكثر أرض اليمن، أما الحجاز فكانت تتبعالعثمانيين، ويُسيّر الأشراف ـ أمورها.

وكانت حكومة فيصل قويةً، والأمن موطداً، والاستقرار قائما، وتمتد من جنوب بلاد الشام شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً ومن الحجاز وعسير غرباً حتى الخليج شرقاً، وكان فيصل يتقي العثمانيين بأن يدفع لهم أحياناً بعض الأموال أو يظهر لهم التبعية الاسمية، وكانت صلته حسنة بالانكليز الذين لم يعترفوا بأية تبعية للعثمانيين على فيصل.

توفي الإمام فيصل عام ١٢٨٢ هـ ، وله أربعة أولاد، وقد بويع عبد الله بن فيصل إماماً مكان أبيه، ولكن أخاه سعودا نافسه وثار في الخرج عام ١٢٨٣ هـ إلا أنه هزم فالتجأ إلى عسير، ولما لم يدعمه ابن عائض تركه، والتجأ إلى نجران فوجد مساعدة فحارب أخاه غير أنه هزم ثانية، فسار إلى المنطقة الشرقية، واحتمى بواحة البريمي، ولما قوي أمره عاد إلى حرب أخيه، فانتصر في هذه المرة، وغادر أخوه عبد الله الرياض، ولما لم يدخلها سعود فقد رجع إليها عبد الله.

زحف سعود إلى الرياض وتمكن من اقتحامها عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) فخرج منها عبد الله، واتجه إلى قبائل قحطان في الجنوب، وحاول العودة إلى الرياض إلا أنه هزم.

احتل العثمانيون المنطقة الشرقية فسار إليهم عبدالله وطلب مساعدتهم. وثار أهل الرياض على سعود وولوا مكانه عمه عبدالله بن تركي الذي تنازل بعد شهرين من حكمه لابن أخيه عبدالله الذي جاء من المنطقة الشرقية.

كان سعود بن فيصل قد فرّ إلى الخرج، وجمع جموعه وسار بهم إلى أخيه في الرياض فانتصر عليه، وفر عبد الله إلى الكويت ورجع سعود يحكم الرياض عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م).

حاول سعود دخول الأحساء ففشل، وطلب دعم الانكليز ففشل، واتفق الآن الأخوان سعود وعبدالله، وحاولا مهاجمة العثمانيين ولكن لم يفدهما هذا الاتفاق، وهزموا في الهجوم.

انسحب العثمانيون من الأحساء عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) بسبب ما أصابهم من أمراض، وقام فيها عبدالرحمن إماماً لهم، وأيده أبناء أخيه سعود في البداية، ثم اختلفوا معه وأخرجوه من الرياض وحكموها.

اتفق أبناء فيصل (عبد الله، محمد، عبدالرحمن) ضد أبناء أخيهم سعود، فحكموا الرياض، وتولى عبدالله الأمر للمرة الثالثة، وخرج أبناء سعود منها، ولكن في عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) عاد النصر إلى جانب أبناء سعود فدخلوا إلى الرياض، وحكم محمد بن سعود، وسجن عمه عبد الله بن فيصل فسار من حائل أميرها محمد بن عبد الله بن رشيد الى الرياض بحجة إعادة عبد الله بن فيصل إلى الحكم، إلا أن ابن رشيد بعد أن دخل الرياض أبقى فيها حاميته تدير شؤونها بأمره وبقيادة سالم السبهان،وحمل معه عبد الله وعبدالرحمن بن فيصل بن تركي. وبعد مدة سمح ابن رشيد لابني فيصل بالعودة إلى الرياض التي سحب حاميته منها، ولكن لم يلبث أن توفي عبدالله بن فيصل بعد يومين من عودته وذلك عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، وأصبح عبدالرحمن هو الإمام المبايع. ولم يلبث ابن رشيد أن أرسل حملة انتصرت على أهل القصيم، وغادر عبدالرحمن الرياض إلى الأحساء فالقطيف، ومنها إلى الكويت،ثم الى قطر فالبحرين، وأخيراً سمح له أمير الكويت بالإقامة فيها، فانتقل إليها عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م)، وأصبح آل رشيد حكاماً لنجد، وانتهت الدولة السعودية الثانية بعد أن سادها الخلاف مدة ربع قرن.

الدولة السعودية الثالثة : (المملكة العربية السعودية) :

وقع الخلاف بين أبناء الصباح في الكويت، إذ ثار أبناء إخوة الشيخ مبارك

عليه واتجهوا إلى العراق يطلبون مساعدتهم من الدولة العثمانية، فأوكلت الأمر إلى ابن رشيد في حائل لمساعدة هؤلاء ضد عمهم الذي تفاهم مع الانكليز.

كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يقيم في الكويت مع والده، فرأى أن يستفيد من الخصومة بين الشيخ مبارك وآل رشيد فطلب من الشيخ مبارك أن يرسله بقوة يحتل بها الرياض وينقذها من آل رشيد، كي تضعف قوتهم ويقاتلوا في جبهتين، فوافق الشيخ مبارك، وسار عبدالعزيز بقوة إلى الرياض عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وحاصرها غير أن هزيمة الشيخ مبارك اضطرته إلى العودة من حيث أتى، ولكنه سار في العام التالي ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)، ودخل الرياض على حين غرة من أميرها وقتله في قصره، وتسلّم حكم الرياض، وبدأ يوسّع نفوذه فاحتل الوشم وسدير عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وبريدة وعنيزة عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥م) وعلى بقية القصيم عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٧م) بعد مقتل أمير حائل في المعركة التي دارت بينهما في روضة مهنا، ثم تجدد القتال بعد صلح، وبعد خلافات حدثت في آل البيت الرشيدي، وأخيراً دخل عبدالعزيز بن عبدالرحمن حائل ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) قبل عام ١٣٣١ هـ (١٩٣١ م) بعد أن ضعفت الدولة العثمانية إثر حروب البلقان.

اصطدم عبدالعزيز بن عبدالرحمن مع شريف مكة الحسين بن علي الذي ثار على الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى وشعر بقوته، وتلقب باسم ملك العرب، وخاصة بعد أن حكم أولاده الأردن، والعراق، واستطاع السعوديون دخول الطائف عام ١٣٤٣ هـ بعد هزيمة (تربة) وتنازل الشريف حسين لابنه علي عن الملك وغادر البلاد، ثم تمكّن السعوديون من دخول مكة المكرمة في العام نفسه، وانسحب علي بن الحسين إلى جدة، ثم تنازل عن الحجاز، ودخل السعوديون جدة والمدينة المنورة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) بعد حصار، وهكذا انتهى حكم الأشراف عن الحجاز التي أصبحت جزءاً من ملك السعوديين.

كما استطاع الجيش السعودي دخول أبها عاصمة عسير عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) وعاد آل عائض إلى الانتفاض على السعوديين ولكنهم هزموا عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢م) بعد معارك دامية، ونقل آل عائض إلى الرياض.

كما ضم عبد العزيز بن عبدالرحمن تهامة التي كان الأدارسة قد استقلوا فيها

عن الدولة العثمانية، وتحالفوا مع الطليان ثم مع الانكليز . . . وثار السكان ضد على الإدريسي فالتجأ إلى الرياض، وبايع أهل المنطقة عمه الحسن الذي فاوض انكلترا وأعطاها حق التنقيب عن النفط في جزر فرسان، كما فاوض إيطاليا، وإمام اليمن، ثم فاوض السعوديين ونجح في ذلك، وضمت تهامة إلى السعوديين عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م).

بويع عبدالعزيز أميراً على نجد بعد أن دخل الرياض عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)، وأصبح سلطاناً على نجد وملحقاته بعد أن دخل حائل عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م)، وغدا ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته بعد أن استولى على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، وبعد عام أصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاته، وأخيراً في ١٧ جمادى الأول عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) أصبح ملك المملكة العربية السعودية.

استفاد ابن سعود من جماعة أسماها «الإخوان» وتضم الجماعة المتدينين من أهل البادية الذين استقروا في الهجر التي أسسها لهم، وقد ضحت هذه الجماعة بكل شيء في سبيل نشر الدعوة ثم بدأالخلاف بينها وبين الملك عبدالعزيز، ودارت معارك بين الطرفين خرج عبد العزيز منها منتصراً، وقضى على خصومه.

وجرى الخلاف بين المملكة العربية السعودية واليمن على الحدود، وجرت مفاوضات بين الطرفين لحل هذا الخلاف غير أن اليمن قد احتلت جيزان وما حولها أثناء المفاوضات، فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة ابنه فيصل احتل (ميدي) و (الحديدة)، ثم تدخلت الدول العربية فتوقف القتال، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) التي حددت الحدود بين الدولتين.

عمل الملك عبدالعزيز على تطبيق حدود الشريعة الإسلامية فساد الأمن، واستقر الوضع، ووجد النفط في المنطقة الشرقية من بلاده، فاتجهت أنظار الدول نحو الخليج أكثر من ذي قبل، واتفق مع الدول المجاورة ذات الشأن فرسمت الحدود، وعقدت المعاهدات لحسن الجوار، وتوفي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) فخلفه ابنه الأكبر سعود، حسب النظام القائم بحكم الولد الأكبر من أسرة الملك عبدالعزيز.

سار سعود بن عبد العزيز بالبلاد شوطاً، ثم انصرف عن الشؤون العامة فوقع الخلاف بينه وبين أخيه ولي عهده فيصل الذي كان نائبه على الحجاز، وبايع العلماء فيصلاً فنجح في نقل الملك إليه، وغادر سعود البلاد إلى أن توفي في مصر عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م).

قام الملك فيصل بالأمر وسار سيرة حميدة، ودعا الى التكتل الإسلامي، وفي عهده زادت خيرات البلاد مع زيادة الثروة النفطية، والحاجة الماسة للنفط الذي أصبح شريان الحياة الاقتصادية، ونعمت المملكة بالرخاء، وسار الأمن والاستقرار، واتسع العمل، وجلبت الأيدي العاملة من جهة، وقتل من قبل ابن أخيه مساعد في ربيع الأول عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، فاعتلى الحكم أخوه خالد، وبايعته الأسرة جميعها، واستمر في الحكم حتى عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) حيث توفي فجأةً، فخلف أخوه فهد بن عبد العزيز. ولقد لقب بخادم الحرمين الشريفين، وشهدت البلاد في عهده ازدهارا وتطورا في شتي المجالات وحظيت بسمعة ومكانة دولية إسلامية وعربية.

ب - اليمـــن

تقع اليمن في جنوبي الجزيرة العربية، وهي منطقة جبلية، تنالها الأمطار الصيفية الناشئة عن الرياح الجنوبية الغربية، لذا عرفت من القديم باسم بلاد العرب السعيدة، وعمل أهلها بالزراعة، وأقاموا الدول مثل معين، وسبأ، وحمير، ظهرت فيها بوادر الحضارة التي امتازت ببناء السدود مثل مأرب، وبناء القصور مثل رغدان. وكثر السكان فيها حتى وصلوا في عددهم إلى مايقرب من نصف سكان الجزيرة عامة.

ومع ضعف الدولة في اليمن بهجرة أعداد من سكانها من خراب سد مأرب، وانتقالهم إلى عمان (أزدعمان)، وإلى عسير (أزد شنوءة)، وإلى الحجاز (الأوس والخزرج) وإلى بلاد الرافدين (المناذرة)، وإلى الشام (الغساسنة)، تسلط الأحباش على اليمن، وانتشرت في أيامهم النصرانية، وكان الروم يدعمون الأحباش ويشجعونهم على نشر النصرانية، كما انتشرت اليهودية، وأراد بعضهم الهجوم على بيت الله الحرام فرده الله صاغراً، وأهلكه وعدداً كبيراً من جيشه بإرسال الطير

الأبابيل عليهم.

وقـام بعض أبناء البلاد بمحاولة طرد الأحباش أمثال سيف بن ذي يزن، واستعانوا بالفرس على الأحباش، فنجحوا إلا أن نفوذ الفرس قد حل محل نفوذ الأحباش، واستمر ذلك حتى جاء الإسلام.

انتشر الإسلام في اليمن في عهد رسول الله ﷺ، وما أن انتقل الرسول الكريم من هذه الحياة الدنيا حتى بزغت قرون الردة، وقام الأسود العنسى متنبئاً وتبعه كثير من أهل اليمن فأرسل لهم الصديق رضي الله عنه الجيوش التي فرقت أمرهم فعاد إلى الإسلام من كتب الله له الخير، وقتل من قتل. ودخل أهل اليمن في الإسلام، وانطلقوا مع إخوانهم إلى الفتوحات وكان على أيديهم الخير الكثير.

وتوقفت الفتوحات الإسلامية بعد الخلاف الذي دبّ بين المسلمين، وبايعت اليمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وبعد مقتلة عادت فبايعت بني أمية حتى إذا دالت دولتهم بايعت بني العباس إلا أن امرهم كان فيها ضعيفاً لبعدها عن مركز الحكم، ولطبيعتها الجبلية، ولو عورة أرضها، وللسبب نفسه كانت ملجأ لكثير من الفارين من الحكم أو الثائرين عليه. فقد قامت فيها دولة بني زياد عام ٢٠٤ هـ ثم سيطر القرامطة على اليمن بقيادة علي بن الفضل عام ٢٩٢ هـ ونهبـوا مدنها، وفعلوا الأفاعيل، واستباحوا المنكرات، وقاموا بكل رذيلة. وقام بعدئذ بنو نجاح وهم من مماليك بني زياد، وحكموا زبيد وملحقاتها عام ٤١٢ هـ وكان بنو يعفر يحكمون صنعاء من عام ٢٤٧ هـ وحتى عام ٣٨٧ هـ ، بينما سيطر بنو صليح على صنعاء ٤٣٩-٤٩٢ هـ ، وخلفهم بنو همدان حتى ٥٦٩ هـ . وآل أمـر زبيد إلى بنى مهـدي من ٥٥٤-٥٦٩ هـ . وتسلم آل زريع إمـارة عدن ٤٧٦-٥٦٩ هـ . أما صعدة فكانت تحت حكم دولة (بني رس) الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ .

وجاء الأيوبيون عام ٥٦٩ هـ فقضوا على عدد من الإمارات في اليمن، وجمعوا أمرها إذ أنهوا حكم بني همدان في صنعاء، وبني مهدي في زبيد، وبني زريع في عدن، واستمر أمرهم حتى عام ٦٢٦ هـ .

خلف بنـو رسـول الأيوبيين في اليمن، ودام حكمهم أكثـر من قرنـين ٦٢٦-٨٥٨ هـ ، ثم قام بعدهم بنو طاهر واستمر أمرهم حتى عام ٩٣٢ هـ حيث

جاء المماليك إلى المنطقة لرد البرتغاليين عن ديار الإسلام ثم لم يلبث أن جاء العثمانيون للغاية نفسها.

حاول المماليك الوقوف في وجه البرتغاليين، وبنوا أسطولاً لهذا الغرض، وحرصوا على تلبية نداء مسلمي الهند إلا أن أسطولهم قد هزم في معركة (ديو) في المياه الهندية عام ٩١٥ هـ. وحاول البرتغاليون عبور البحر الأحمر والسيطرة عليه بعد سيطرتهم على المياه الهندية والخليج العربي، وشن البوكرك هجوماً على عدن للسيطرة عليها عام ٩١٩ هـ غير أنه فشل، وقامت حملة برتغالية بقيادة سواريز للاستيلاء على جدة لكنها أخفقت، وتعاون البرتغاليون وتحالفوا مع الأحباش.

وقام العثمانيون يدرءون الخطر عن ديار الإسلام، ويلبون نداء مسلمي الهند، ورفض المماليك التعاون معهم، فاحتل العثمانيون أرض الدولة المملوكية، وورثوا عنها المهمة الملقاة عى عاتقها وهي حرب البرتغاليين، ودخلوا اليمن بصفة أن أرضها قاعدة ارتكاز لمحاربة البرتغاليين سواء أكان ذلك في البحر الأحمر، أم في الخليج العربي، أم في المياه الهندية. كما أن العثمانيين قد بسطوا نفوذهم على السواحل الغربية للبحر الأحمر لضمان المحافظة عليه، ولإنقاذ المسلمين من سيطرة الحبشة حليفة البرتغاليين، وقد تم للعثمانيين ذلك عام ٦٩٥ هـ وكانت الحبشة في حالةٍ من الفوضي بسبب الخلاف بين حكامها وارتباطهم بالكنيسة الغربية أو الكنيسة الشرقية، وهذا ما سهل للعثمانيين بسط نفوذهم على مصوع، وسواكن، وسواحل البحر الأحمر كافة، ولكنهم لم يستغلوا هذه الفرصة ويتوغلوا نحو الداخل لينهوا الحكم الحبشي الذي يتعاون مع كل صليبي، ويمد يده لكل دخيل نصراني يعمل ضد المسلمين، كما أنه يقاتل مسلمي الحبشة باستمرار وسيطر على المسلمين في المناطق الواقعة بين هضبة الحبشة والبحر الأحمر. ولم يزل هذا ديدنه حتى الآن.

وقبل أن يبسط العثمانيون نفوذهم على سواحل البحر الأحمر الغربية أرسلوا حملات إلى الخليج العربي لطرد البرتغاليين من هناك، ففي عام ٩٥٩هـ أرسلوا حملة احتلت مسقط وهـزمت أسطولاً برتغالياً، وحاصرت (هرمز) لكنها فشلت وعادت. وأرسلوا حملة ثانية عام ٩٦١ هـ لكنها هزمت، كما هزموا في حملة ثانية

في العام التالي، وبعدها انحصرهّم العثمانيين بالدفاع عن البحر الأحمر وتوجيه الجهود إلى اليمن. وحرم العثمانيون على السفن النصرانية دخول البحر الأحمر.

وعندما قام على بك الكبير بحركته ضد العثمانيين وانفرد بحكم مصر، فتح البحرالأحمر لسفن الدول النصرانية، وكان قد وقع تحت تأثير تاجر من البندقية هو (كارلو روسيتي) الذي أقنعه بضرورة فتح البحر الأحمر أمام مراكب الدول النصرانية لتشجيع التجارة والإفادة من ذلك.

وعندما دخل العثمانيون اليمن مرة ثانية عام ٩٧٧ هـ على يد سنان باشا، حرصوا على بقاء سيطرتهم على اليمن لمالها من أهمية، ولكن الولاة اختلفوا في سياستهم، وقامت عدة حركات ضد العثمانيين.

عندما استولى العثمانيون على اليمن كانت حال الأئمة الزيود في صنعاء جيدة وكانوا على رضي مع العثمانيين، ولكنهم حافظوا على استقلالهم في صنعاء، ثم بدأت حركات المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ ، وكان الإمام المطهر قد عادى العثمانيين، واستطاع أن يستولي على صنعاء عام ٩٧٥ هـ ، وهذا ما استدعى قدوم حملة عثمانية كبيرة بقيادة سنان باشا الذي استولى على اليمن. . . . ولكن لم تلبث أن عادت الحركات بعد مدة.

ففي عام ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) قام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بثورته التي شملت أجزاء واسعة في اليمن، واستدعت إرسال عدة حملات عثمانية تمكنت في النهاية من إعادة توطيد الأمن. ثم تجدد النزاع بين العثمانيين والأئمة الزيود إذ شن المؤيد بالله محمد بن القاسم حرباً على الوالى العثماني أحمد فضلى عام ١٠٣٠ هـ (١٦٢١ م)، وتمكن الإمام نتيجتها من الاستيلاء على صنعاء، وتعز، وعدن ثم أخرج العثمانيين من اليمن كلها عام ١٠٤٥ هـ وأسس دولة الإمامة الزيدية التي اتخذت صنعاء مقراً لها. وتوفي الإمام المؤيد بالله عام ١٠٥٢ هـ (١٦٤٢ م) وخلفه أخوه أحمد الذي اضطر بعد عامين للتنازل عن الحكم لأخيه إسماعيل بعد خلاف بينهما.

وضعف الأئمة الزيديون نتيجة الخلاف على الإمامة، واستقلت القبائل عن صنعاء، كما انفصلت مناطق، فاستقلت حضر موت، ولحج عام ١١٤٥ هـ

(١٧٣٢ م)، وقـوي أمر الإمام المهدي عباس ١١٥٩ هـ (١٧٤٦ م) ثم هبت رياح الفوضى في البلاد بعد موته، واستقلت تهامة الشمالية، واتخذت مدينة (أبو عريش) مقراً لها، وبدأت الدعوة السلفية تنتشر فيها، ثم استولى محمد بن عامر المتحمي على (أبو عريش) وعددٍ من موانىء اليمن حتى المخا، وقام مقامه أخوه عبد الوهاب، ثم طامي بن شعيب.

استنجد الإمام المتوكل على الله بالسلطان العثماني محمود الثاني فأرسل الأتراك مدداً إلى عسير وتهامة، وتمكن محمد علي باشا المكلف بحروب الدولة العثمانية من أسر طامي ابن شعيب ونقله إلى مصر ثم إلى استانبول حيث صلب هناك، وبذا استعاد الإمام عبدالله المهدي نفوذه، وبدأ يرسل جزية سنوية الى السلطان العثماني.

وعادت القوة إلى عسير بعد محمد بن أحمد المتحمي وقيام سعيد بن مسلط بأمر العسيريين ومن بعده علي بن مجثل، وعائض بن مرعي فتوالت الحملات على المنطقة وجاءت حملة عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) بقيادة إبراهيم يكن، وتمكنت من القضاء على الثورة التي اندلعت في تعز ضد الإمام علي بن عبد الله المهدي وذلك عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م)، كما استطاعت بعض فرق الحملة العثمانية من دخول عدن.

احتل الإنكليز عدن عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) وعسير بعد هزيمته في بلاد الشام، وعقد معاهدة لندن عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م).

وضعف أمر الأئمة في هذه المدة إذ بدأ الخلاف بينهم، واستنجد الإمام محمد بن يحيى بالأمـير عائض بن مرعي لنصرتـه فأرسل إليه قوة سارت عن طريق صحار، والأخرى عن طريق صعدة وكانت الثانية بإمرة الشريف حسين بن علي بن حيدر شريف (أبو عريش)، والأولى بإمرة يحيى بن مرعي أخى عائض بن مرعي، وتمكنت القوتان من دعم محمد ابن يحيى وتثبيته في صنعاء وعُدّ والياً للأمير عائض بن مرعي، وخفّ الهجوم على الدعوة السلفية في اليمن. ولكن ما إن عادت القوة العسيرية حتى تنكر الإمام محمد بن يحيى للعسيريين والدعوة السلفية فكلف عائض بن مرعي عامله على أبي عريش حسين بن علي حيدر بتأديب إمام صنعاء، إلا أن الحيدري قد هزم ووقع أسيراً بيد اليمنيين. وأراد

عائض مرعي أن يسير إلى صنعاء لإنقاذ واليه إلا أن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى اليمن.

تضايق العثمانيون من نجاح الدعوة السلفية، وانتصار عائض بن مرعي في اليمن، وخافوا مغبة الأمر، وفي الوقت نفسه فقد استنجد الإمام علي بن المهدي بالسلطان عبد المجيد ضد محمد بن يحيى وعائض بن مرعي، فأمر السلطان نائبه في جدة توفيق باشا بالتوجه إلى اليمن ومعه أمير مكة الشريف محمد بن عون، وسارت القوة من جدة ووصلت إلى الحديدة في ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتابعت زحفها إلى صنعاء دون أن تلقى أية مقاومة. وما إن علم الإمام المتوكل محمد بن يحيى بهذا الأمر حتى أطلق سراح الشريف الحيدري، وأسرع للقاء توفيق باشا فاستقبله، واتفق معه، وصحبه إلى صنعاء وأنزله في قصر غمدان... وأنكر أهل صنعاء على الإمام فعلته وثاروا عليه في الحال وأرغموا الأتراك إلى العودة إلى الساحل، وألقوا القبض على محمد بن يحيى، ونصبوا علي بن المهدي إماماً.

وحدثت خلافات بين علي بن المهدي بصنعاء، ثم الذي قام مكانه وهو المؤيد العباس ابن عبدالرحمن وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة، وكادت رياح الفتن تعصف باليمن كلها.

كان العثمانيون قد قضوا على إمارة آل عائض في أبها وقتلوا محمد بن عائض، وحملوا جماعة من كبار القادة والعلماء إلى استانبول، وتولى أمر عسير أحمد مختار باشا بعد مقتل رديف باشا، استغل أحمد مختار الفوضى في اليمن فسار بقوة على طريق الساحل، ودخل صنعاء وأنهى هذه الخلافات، ولكنه لم يستطع أن يبسط نفوذه على شمال اليمن إذ بقي تحت سلطة المتوكل المحسن بن أحمد حتى توفي عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ م) فخلفه الهادي شرف الدين بن محمد.

تولى حكم اليمن عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م) بعد أحمد مختار باشا مصطفى فاشتد على السكان الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة قادها محمد بن يحيى حميد الدين الذي كان قد سجنه مصطفى باشا مع عدد من سادات البلاد في الحديدة، وفر من السجن وحمل لواء الثورة، وتلقب بالمنصور.

وفي الشمال اليمن توفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) الهادي شرف الدين بن

محمد فقرر السكان مبايعة محمد بن يحيى حميد الدين الذي استطاع أن يؤلف جيشاً، ويحارب الولاة العثمانيين، وأن ينتصر عليهم، وأن يحاصر صنعاء، واضطر العثمانيون إلى اعادة أحمد فيضي باشا إلى ولاية اليمن، فجأة بقوة كبيرة تمكنت من فك الحصـار عن صنعاء ودخولها، وغادرها المنصور أحمد بن هاشم حيث اعتصم في (حاشد)، وحاول أحمد فيضي باشا القضاء عليه عدة مرات ولكنه فشل، واستمر الإمام في الشمال حتى مات عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وخلفه ابنه يحيى الذي اتخذ لقب المتوكل، واتخذ بلدة (قفلة عذر) قاعدة له، وعاصمة مؤقتة.

أرسل العثمانيون قوةً لعجم عود الإمام يحيى فوجدوه صلباً، وقد هزمت قوتهم، وشجعت هذه الهزيمة سكان اليمن فقاموا بحركتهم التي دفعت القوات التركية نحو صنعاء فحاصروها، واضطرت إلى الاستسلام وفر القائد التركي إلى زبيد. فأرسلت الحكـومة التركية أحمد فيضي باشا مرة ثالثة على رأس قوة كبيرة نزلت بالحديدة، واتجهت إلى صنعاء فدخلتها، وانتقل الإمام يحيى إلى (شهارة)، فلحقه أحمد فيضي باشا ولكنه هزم على أبواب شهارة هزيمة نكراء، وعندما وصل الخبر إلى الحكومة التركية أرسلت المشير عزت باشا الألباني مندوباً للمفاوضة، فاتصل بالإمام يحيى وعقد معه اتفاقية (دعّان). ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى قامت الحرب العالمية الأولى وخرج الأتراك من اليمن.

وفي أثنـاء الحـرب العـالمية الأولى ضرب الإنكليز ميناء الحـديدة واحتلوها بمساعدة الإدريسي في تهامة الذي كان يعمل بجانب الحلفاء، وعندما انتهت الحرب انسحبت القوات التركية من اليمن بعد هزيمتها أمام الحلفاء، وخرجت جنودها في اليمن عن طريق عدن.

وبقيت تهامة اليمن والحديدة تحت سيطرة الأدراسة حيث منحتهم انكلترا هذا المنـاطق، واختلف الأدراسة بعد وفاة الإدريسي بين مؤيد لابنه علي بن محمد ولأخيه حسن بن علي، واستغل اليمنيون هذا الخلاف وزحفوا على تهامة واحتلوها وفّر حسن بن علي الإدريسي إلى نجد وذلك عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ووقع مع الملك عبد العزيز معاهدة مكة التي تتضمن دخول الإمارة الإدريسية ضمن الدولة السعودية.

عاد حسن بن علي الادريسي فتمرد ولكنه هزم وألغيت إمارة صبيا وأبو عريش، وقـامت مفاوضات بين اليمن والدولة السعودية لتحديد الحدود، غير أن نائب الإمـام في صعدة قد أرسل بعد رجاله فدخلوا نجران فتعكر جو المفاوضات، فأرسل الملك عبد العزيز ابنه فيصلاً على رأس قوة احتلت حرض، وميدي، والحديدة. وأرسل الإمام يحيى برقية إلى المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان منعقداً في فلسطين لإرسال وفد لرأب الصدع، فبعث المجلس وفداً مؤلفاً من: الحـاج أمـين الحسيني، وهاشم الأتاسي، ومحمد علي علوبة، وشكيب أرسلان وعبدالرحمن عزام فانتهى الخلاف، وانسحبت القوات للطرفين إلى ماكانت عليه، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)، ورأس وفد السعودية خالد بن عبدالعزيز، ووفد اليمن عبد الله بن أحمد الوزير.

شاركت اليمن مع وفـود الـدول العربية الأخرى لبحث قضية فلسطين في الـقـاهــرة عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، وفي بلودان في سوريا عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وكانت من بين الدول التي ساهمت في انشاء جامعة الدول العربية، وانضمت إليها عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، ثم انضمت إلى الأمم المتحدة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م).

أما على الصعيد الداخلي فقد تعرضت حكومة الإمام يحيى لتمرد قبائل المشرق عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وقد أخضعتها قوة بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير.

وتمردت قبيلة الزرانيق عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) عامين ثم قضي عليها سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى.

وقامت حركة محمد الدباغ بالبيضاء عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠ م) نفوذها، وأنهى التمرد الشريف عبد الله الضمين.

ثم قامت ثورة على الإمام يحيى في ربيع الثاني عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، أطاحت به، واشترك فيها عبدالله بن أحمد الوزير، وبعض أبناء الإمام، ونجحت ثم استطاع سيف الإسلام أحمد أن يعود وأن يقضي على الثوار، وأن ينتزع الملك.

شاركت حكومة الإمام أحد أيضاً في القضايا العربية والإسلامية كلها، كما انضمت إلى اتحـاد الدول العربية الذي نشأ بعد الوحدة التي تمت بين مصر

وسوريا، بل هي الدولة الوحيدة التي انضمت إلى الوحدة وشكلت الاتحاد، وتوفي الإمام أحمد عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) بصورة غامضة، وخلفه ولده سيف الإسلام محمد البدر وتلقب بالمنصور بالله، وبعد ثمانية أيام قام فريق من الضباط بقيادة عبد الله السلال الذي كان سجيناً فأخرجه محمد البدر، وأعلن عبد الله السلال نهاية حكم الإمامة في اليمن، وقيام الجمهورية اليمنية، واستنجد بمصر فأمدته بقوات، وبدأ الصراع بين الملكيين والجمهوريين، واستمر سبع سنوات.

انسحبت القوات المصرية من اليمن عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) بعد لقاء بين الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية والرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية المصرية في الخرطوم حيث كان لقاء لرؤساء الدول العربية، وما إن انتهى الانسحاب حتى قامت القوات اليمنية بانقلاب ضد عبد الله السلال الذي التجأ إلى بغداد، وتولى رئاسة اليمن مجلس يرأسه عبد الرحمن الايرياني، واستمر القتال من جهة أخرى بين اليمن الشمالي والجنوبي، ولكن توقف في الأيام الأخيرة من عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، بعد أن خرجت أسرة حميد الدين من السعودية، وأدخل في الوزارة اليمنية الجديدة بعض أنصار الملكية.

خرج عبدالرحمن الإيرياني من البلاد، وأصبح نائب رئيس مجلس الوزراء للشئون الداخلية المقدم إبراهيم الحمدي رئيساً للدولة، ولكن بعد مرور عامين ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، قام بانقلاب آخر رئيس الأركان العقيد محمد الغشمي، وهو من رؤساء قبيلة همدان، وبعد عام آخر قام انقلاب تزعمه علي عبدالله صالح.

ج ـ اليمن الجنوبية

كانت جزءاً من اليمن، انفصلت عنها بعد أن احتلت انكلترا عدن عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)، ومن ثم بدأت انكلترا توسع نفوذها على طول الساحل، وتحاول التوغل نحو الداخل، فعدت عدن مستعمرة ولم تكن لتزيد مساحتها على ١٩٥ كيلومتراً وتتبعها جزيرة بريم وجزيرة كارمن، وتقع كلاهما في مضيق باب

المنـدب، وتعرفان باسم ميون. وعدت القسم الثاني محميةً، وخضعت للحماية الانـكليزية في الفـترة ١٢٢٨ ـ ١٣٣٣ هـ (١٨١٣ ـ ١٩١٥ م)، وتضم ثلاثـاً وعشرين سلطنـة، وتنقسم إلى قسمين: محمية عدن الغربية وتضم عشرين سلطنة، ومحمية عدن الشرقية وتشمل ثلاث سلطنات.

وفي منتصف عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) انضمت ست سلطنات بعضها إلى بعض وكونت اتحاداً فيما بينها، دعمته انكلترا، ثم انضمت لحج إلى هذا الاتحاد وبقيت تتـابـع السلطنـات في الانضمام حتى بلغت اثنتي عشرة سلطنة ضمن الاتحاد، ثم انضمت مستعمرة عدن في عام ١٣٨٢ ه (١٩٦٢ م) وأطلق عليه اسم اتحاد الجنوب العربي.

عارضت هذا الاتحـاد بعض العناصر وعدته دولة مشبوهة، وكان في البلاد تنظيمان هما: جبهة تحرير جنوب اليمن ويتزعمها عبد القوي مكاوي، وجبهة التحرير الوطنية ويتزعمها قحطان الشعبي.

أعلنت انكلترا أنها ستنسحب من جنوب اليمن قبل حلول عام (١٩٦٨ م) أوائـل شوال عام ١٣٨٧ هـ ، فنشـطت الجبهتان للسيطرة على مقاليد الأمور، وكانت مصر تدعم الجبهة الأولى، أما جبهة التحرير الوطنية فتلقى تعاطفاً من القوات المسلحة العدنية. كما بدأت الجبهتان بحرب العصابات ضد المحتلين، وتمكنت جبهة التحرير الوطنية من السيطرة على اتحاد الجنوب العربي، ويشمل سبع عشرة سلطنة وفّر بعض السلاطين، واستقال بعضهم، وأسر آخرون. وفي الوقت نفسه فقد وقع صدام بين الجبهتين. وسلم الانكليز مقاليد الأمور لجبهة التحرير الوطنية برئاسة قحطان الشعبي ، وغادروا البلاد في ٢٥ رجب ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وأعلن قيام جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية.

وفي عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) حدث تغيير في الحكم إذ وضـع قحـطان الشعبي تحت الإقامة الجبرية، وتولّى السلطة سالم ربيع علي، وتولى رئاسة الوزراء محمد علي الهيثم، ثم علي ناصر محمد الذي يشغل أيضاً منصب وزير الدفاع.

وجـرت محاولات لقيام وحدة بين شطري اليمن إلا أن الشقة الواسعة بين نهجي البلدين قد حالت دون ذلك.

ثم قامت حركة تالية أزيح فيها سالم ربيع علي، وتسلم الأمر عبد الفتاح إسماعيل. وماهي إلا سنوات مضت حتى تلت حركة انتهى معها حكم عبدالفتاح اسماعيل وقام حكم علي ناصر محمد، وكل حركة جديدة تتهم سابقتها بما اتهمت به الأسبق

ثم توحد شطرا اليمن في ٢٧ شوال ١٤١٠ هـ (٢٢ أيار ١٩٩٠ م) وتسلّم رئاسة الدولة رئيس اليمن الشمالي ورئاسة الحكومة رئيس اليمن الجنوبي.

د ـ عُمـــان

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية. يحدها من الشرق خليج عمان، ومن الشمال اتحاد الإمارات العربية، ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الجنوب المملكة واليمن الجنوبية.

اعتنق عرب عمان الإسلام في أعقاب ظهور الدعوة الإسلامية، واتصف اقليم عمان بنزعته القبلية، ومن الملاحظ أن عرب الجنوب كانوا هم أول الوافدين على عمان واستمروا يقومون بالسلطة في ذلك الاقليم، ولكن بمرور الزمن أخذت عناصر الشمال تفد إلى عمان واختلط العنصران عن طريق التزاوج وإن وقفت العصبية مع ذلك حائلا دون قيام اتحاد تام بين هذين العنصرين، كان من نتيجته أن بات كل عنصر يتطلع الى السيطرة على العنصر الآخر، ولا شك أن طابع ذلك التنافس هو من أهم السمات المميزة لتاريخ عمان القديم والحديث[٥].

ويعد إقليم عمان أهل المعاقل الإباضية إذ يعتنق المذهب الإباضي معظم سكان هذا الاقليم وخاصة في الداخل، واشتهرت هذه المنطقة منذ القرن الأول الهجري بأنها مركز اضطراب دائم، فقد استقر بها الخوارج الإباضيون الذين قاموا بعدة ثورات على الخلفاء الأمويين والعباسيين. ونجح بنو جلندي بزعامة جلندي بن سعود الأزدي في تزعم حركة انفصالية بدأت عام ١٣٧هـ. وحكم عمان من هذه

(٥) أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، بيروت ١٩٥٧م، ص ٩٧-١٠٢

السـلالة تسعة وعشرون إماما إباضياً، كان آخرهم أبو جاد موسى بن موسى المتوفي عام ٥٧٩ هـ ولكن حكمهم لم يكن مستقرا. فقد تعرضوا لحملات عديدة أرسلهـا الخلفـاء وبنـو بويه. وخضعت البـلاد للقـرامطة أكثر من نصف قرن (٣١٧-٣٧٥). وحكم عمان بعـد ذلك بنو نبهان ولقبوا بالملوك (٥٧٩-٨٠٩)، قامت ثورات كثيرة ضد النبهانيين لما كان يتصف به حكمهم من ظلم وجور، وأسفرت تلك الجهود عن القضاء على ملكهم وبعث الإمامة الإباضية (والأزد) من جديد في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ٨٣٩ هـ[٦].

وفي خلال حكم الأئمة الأزديين تعرضت عمان للغزو البرتغالي في عهد بركات بن محمد بن إسماعيل ١٠٦٨ هـ. فقد وصل البرتغاليون إلى مياه الخليج العربي في وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي أقام حصونا قوية في مسقط وغـيرهـا من مدن السـاحل العماني. وتعرض ميناء رأس الحد ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) لقصف الأسـطول الـبرتغـالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية في الميناء. وتعرضت لمثل ذلك في العام نفسه موانىء مسقط، وصحار، وخور فكان، وهرمز نفسها. واستقر البرتغاليون في هرمز وبنوا فيها حصناً وخضع لهم ملكها، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين.

وتنازع البرتغاليون والفرس والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طيلة القرن العـاشر ونجح شاه فارس في حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعد جلاء البرتغاليين عن هرمز. وفشلت محاولة برتغالية لاستعادة هرمز ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) فقاد (البوكيرك) بنفسه أسطولا في العام التالي وتمكن من إخضاعها. واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين. ومالبث (البوكيرك) أن عاد مريضاً إلى الهند وتوفي آخر العام بعد أن حكم في الهند مدة، وخلفـه (داميدا) الذي قاد الأسطول البرتغالي في المياه الشرقية أكثر من عشرة أعوام. وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز فسيطروا على جماركها عام ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) وقمعـوا بشـدة ثورات هرمز، ومسقط، وصحار والبحرين. ونصبوا محمود شاه ملكاً على هرمز وسنه لاتتجاوز الثالثة عشرة، وأجبروا أباه على الفرار. ووقّع محمود في رمضان ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) معاهدةً تسلم البرتغاليون بموجبها

(٦) Miles col. S.B.: The countries and the trbes of the Persian Gulf 2vols (London 1919): 157-158,163.

مقاليد الأمور في هرمز، وفرضوا على ملك هرمز شروطا جديدة عام ٩٢٩ هـ [٧] واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانىء في شرقي إفريقية.

وإزداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج وقاموا بعدة محاولات للقضاء على النفوذ البرتغالي مكرسين موارد مصر لهذا الهدف. فقد وصل أسطول عثماني إلى الخليج عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م)، ولكن لم يلق ترحيبا فخسر الجولة بسبب عدم وجود قاعدة له في الخليج. ولم يكن العراق قد أصبح عثمانيا بعد. ووجد العثمانيون أنفسهم بحـاجـة إلى العراق وإلى ميناء البصرة كقاعدة لدفع الخطر البرتغالي، فاحتل العثمانيون العراق باستثناء البصرة التي احتلوها عام ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م)، وبدأوا بإعداد دار لصناعة السفن فيها. وخضع عرب القطيف للعثمانيين وسلموا إليهم حصنا فانتقم البرتغاليون من المدينة ودمروا الحصن عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م) وفشلت محاولة بيري بك عام ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) في احتلال هرمز ولكنها استولت على مسقط. وعهد بقيادة أسطول البصرة إلى حاكم القطيف مراد بك فلم يستطع تحقيق شيء وفشل في إنجاد مسقط التي استعادها البرتغاليون[٨].

وأعـد العثمانيون أسطولاً رابعاً في السويس عهدوا بقيادته إلى سيدي (علي رئيس) أحد مساعدي خير الدين بربروسا وسنان باشا. وأسند إلى سيدي علي قيادة أسطول البصرة والسويس العثمانيين عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٣ م) فتوجه إلى البصرة أواخر ٩٦١ هـ ، وكان همه الأول إعداد سفنه بحيث تصبح صالحة لخوض معـارك حربية. وأقلع الأسطول العثماني من ميناء البصرة إلى القطيف ثم إلى البحرين. وكانت البحرين عثمانية يحكمها آنذاك مراد رئيس، وعادت طلائعه تخبره بأن لا أثر للأسطول البرتغالي. ودام القتال طول النهار وانسحب البرتغاليون في الليل. واستمـر الأسطول العثماني في سيره محاذياً ساحل عمان فالتقي ثانية بالأسطول البرتغالي المتمركز في مسقط، ولحقت بالأسطول العثماني إصابات بليغة حتى اضطر قائد الأسطول إلى نصب الشراع تمهيدا للانسحاب. ودفعته الريح باتجاه شمالي شرقي فوصل إلى ميناء بندر شاهبور الفارسي فتزودوا منها بالماء[٩].

---

(٧) لوتروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى حـ ، بيروت دار الفكر، ٣٥٦ ط ١٩٧٥م

(٨) عباس العزاوي : عشائر العراق جـ بغداد ١٩٥٦ ص ٦٨ ـ ٧١.

(٩) المصدر السابق ص ٧١ ـ ٨١

ثم اتجه ثانية إلى اليمن فقارب ظفار ثم قدفته الريح ثانياً إلى ساحل الهند، فإذا هو أمام (ديو) البرتغالية فسارع إلى تغيير اتجاه حتى وصل إلى الكجرات، والتجأ إلى ميناء (سورات). وبادر الملاحون والجنود العثمانيون إلى هجر سفنهم والعودة إلى بلادهم. أما سيدي علي فقد باع سفنه وعاد براً حاملاً إلى السلطان ثمن أسطوله[١٠].

وضعفت القوة البحرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية أواخر القرن العاشر (السادس عشر الميلادي) فلم يقم العثمانيون بأيه محاولة جديدة كبيرة بعد فشل سيدي علي رئيس، أما البرتغاليون فقد ضمت بلادهم إلى أسبانيا سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨٠ م) وأصبحت مملكتهم فريسة سهلة لأعداء إسبانيا. وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لإسبانيا ثم تبعتها انكلترا، واستطاع كلاهما أن ينتزع السيادة البحرية من إسبانيا والبرتغال. وفي عام ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) كان الهولنديون قد كوّنوا شركة الهند الشرقية الهولندية للتجارة، وبعد أعوام قليلة تبعهم الانكليز سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) فمنحوا شركة الهند الشرقية البريطانية أول امتياز لها[١١].

غير أن الوضع الحربي في الخليج العربي قد تغير منذ مطلع القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)، فقد تحالف أمير البصرة مع البرتغاليين ضد الفرس، كما تحالف شاه فارس مع الانكليز والهولنديين. واستطاع الشاه بمساعدة حلفائه الجدد أن ينتزع البحرين من البرتغاليين ويضغط على هرمز. نجح البرتغاليون في الدفاع عن هرمز بل واحتلوا ميناء بندر عباس الايراني عام ١٠٢١ هـ (١٦٢١ م). واستطاع الشاه بعد عامين أن يخرجهم من بندر عباس ثم منح الهولنديين قاعدة حربية فيها[١٢]

وبدأت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية تتردد على موانىء الخليج العربي والهند أوائل القرن الحادي عشر، وكانت ملكة بريطانيا قد منحت في عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) امتيازاً بتأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية كشركة

(١٠) عبدالكريم غرايبة: مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص ٢٦٤.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) Wilson. A.:op. Cit. PP. 140-141

متممة لشركة الليفانت (الشرق) التي سبقتها بعشرين عاما. ونظمت شركة الهند الشرقية رحلات تجارية سنوية إلى الهند. وتمكن قائد أسطول الشركة عام ١٠٢١ هـ (١٦١٢ م) من انتزاع امتيازات من حاكم (سورات) الهندي فأقر امبراطور الهند المغولي هذه الامتيازات. وعينت الشركة بعد ثلاثة أعوام سفيرا انكليزيا في بلاط امبراطور الهند المغولي[١٣].

وحاول الانكليز كسب ود شاه فارس والتقرب اليه والتحالف معه ضد السلطان العثماني، فنجحوا في استمالته إلى جانبهم، وأرسلت بريطانيا إلى شاه فارس خبراء في السياسة والشؤون العسكرية لتدريب جيشه، كما زودت الجيش الفارسي بالأسلحة. واستطاع شاه فارس بهذه القوة العسكرية طرد العثمانيين من جميع الأراضي الفارسية عام ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م). ومقابل ذلك منح شاه فارس الانكليز حق الاتجار مع بلاده عبر ميناء (جسك) ومنحهم امتيازا بذلك عام ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م)[١٤].

وقدمت لأول مرة سفينة انكليزية إلى ميناء (جسك) قادمة من سورات) بالهند، وفشلت جهود البرتغاليين في التعرض للسفينة التي استطاعت أن تفرغ حمولتها وتبيعها بسهولة. وبعد أن تبين للتجار الانكليز أن هذه التجارة مربحة، بادروا إلى فتح وكالة تجارية لهم في الميناء الإيراني رغم معارضة السفير الانكليزي في دلهي. كما هزمت السفن الإنكليزية أسطولاً برتغالياً حاول اعتراض طريقها[١٥].

وعزم الشاه على الاستيلاء على هرمز بمعونة الانكليز. وتمكن الحليفان من احتلال الحصن البرتغالي في (قشم) على الساحل الإيراني ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م). وبدأ الحلفاء هجومهم على (هرمز) واستسلمت بعد شهرين ووقع في الأسر ثلاثة آلاف برتغالي. وهكذا طويت صفحة برتغالية في (هرمز) التي ارتفع عليها علم البرتغال أكثر من قرن. وأصبحت (هرمز) جزيرة إيرانية. ولم يبق بيد البرتغاليين في الخليج سوى ساحل مسقط. ووجه الشاه قواه بعد هذا النصر ضد بغداد

---

(١٣) Wislon. A.:op. Cit. PP 134-135

(١٤) Miss. S. B.: op. Cit. P175

(١٥) Mils. S. B. Op. Cit. PP 187-188

فاحتلها في العام التالي. ولكنه فشل في احتلال البصرة وبقي أميرها مواليا للسلطان العثماني فقاوم الإيرانيين بمساعدة البرتغاليين[١٦].

لم يبق بيد البرتغاليين غير مراكزهم على ساحل عمان. فانتزعوا (صحار) وأبادوا حاميتها، ولكنهم خسروا بعد أربعة أعوام مركزهم قرب رأس الخلية. وانتزع الإيرانيون لفترة قصيرة حصون (صحار) و (خور فكان) وحاولوا احتلال مسقط نفسها، ولكن عاد البرتغاليون فاستعادوا حصونهم المفقودة وأخرجوا الايرانيين منها وهددوا الموانئ والسفن الإيرانية في الخليج. وسمح لهم أمير البصرة بفتح وكالة تجارية برتغالية في البصرة عام ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م)، وغدت البصرة مركزاً برتغاليا هاما[١٧].

غير أن تطورات هامة حدثت في عمان غيّرت استراتيجية الخليج العربي. فقد استتب الأمر في عمان للإمام الإباضي ناصر بن مرشد بن سلطان عام ١٠٣٤ هـ (١٦٢٥ م)، وأخضع «الملوك» المحليين واستولى على الميناء العماني الوحيد الذي لم يكن بيد البرتغاليين وهو ميناء (لادة). وشرع الإمام ناصر بمهاجمة الحصون البرتغالية ففشل في احتلال (مسقط) ولكنه نجح في احتلال (صحار). وتابع الإمام سلطان بن سيف سياسة ابن عمه وسلفه في تطهير البلاد من البرتغاليين فحرر مسقط وهي آخر معقل للبرتغاليين، ولم يكتف بذلك بل قام بمهاجمة الحصون البرتغالية في الهند فقصد (ديو) وسواحل (الكجرات) وعاد بغنائم كبيرة[١٨].

أصبح العمانيون بعد نجاحهم في طرد البرتغاليين من الخليج العربي وشرقي إفريقية قوة ذات خطر، كما أضحى أسطولهم الشراعي يسيطر على التجارة في المحيط الهندي، وساعدهم على ذلك أن سياسة الدول الأوربية التي خلفت البرتغال في البحار الشرقية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت

---

(١٦) Wilson, A.: op. Cit.. PP. 143-149.

(١٧) Miles. S .B.: op. Cit.. PP. 187-189.

(١٨) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ص ٢١ وانظر كذلك نورالدين عبدالله السالمي: تحفة الأعيان بسيرة آل عمان آلعمان، جـ، ص ١١. (القاهرة ١٣٣٠هـ)

سياسة البرتغاليين، وإنما انصرفت إلى تأسيس المستعمرات واستغلال الأهالي وتكوين الامبراطوريات. أما في التجارة فقد أفسحت المجال للعناصر التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل فيها من جديد، وإنما حرصوا في الوقت نفسه على تأمين المواصلات لامبراطوريتهم الاستعمارية، وترتب على ذلك دخولهم في علاقات مع القوى المسيطرة على أهم القواعد في طريق هذه المواصلات كفارس وعمان والدولة العثمانية[١٩].

ومهما يكن من أمر، فان دولة اليعاربة التي كان لها دور كبير في طرد البرتغاليين، سرعان ما أصابها الوهن والضعف، وتفشت فيها الفتن والثورات مما أضعفها وأدى إلى نهايتها لتقوم على أنقاضها دولة (البو سعيد) بزعامة الإمام أحمد بن سعيد الذين حكموا عمان منذ عام ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) حتى يومنا هذا.

نجح أحمد بن سعيد مؤسس تلك الأسرة في طرد الفرس من عمان ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م)، وبذلك أصبح الطريق ميسراً أمامه للوصول إلى الإمامة خاصة بعد النجاح الذي أحرزه على الفرس، الذين آثروا تركه يصرف شؤون البلاد على شرط تقديم الجزية لهم والاعتراف بسيادتهم على البلاد. على أن الظروف لم تلبث أن سنحت لأحمد بن سعيد ليعلن استقلاله عن الفرس منتهزا حالة الفوضى والاضطرابات التي تردت فيها الدولة الفارسية عقب اغتيال نادر شاه في عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م)، وبذلك استطاع أن ينأي ببلاده عن كل تبعية، كما كان لتزعمه حركة التحرير العمانية ضد الفرس أثر كبير في عقد البيعة بالإمامة له[٢٠] وبنى السلطان الإمام أحمد أسطولاً حربياً قوياً فطهّر شواطىء (ملبار[٢١]) من القراصنة وانجد البصرة ضد الفرس عام ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م)، ولكنه فشل في القضاء على حكم اليعاربة في بعض المناطق (الحزم والنخل)، كما بقيت بلاد الظاهرة وواحة البريمي وساحل عمان الشمالي الغربي بيد بني غافر القيسيين العدنانيين[٢٢].

(١٩) جمال زكريا: المصدر السابق، ص ٢٥

(٢٠) نورالدين عبدالله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ص ١٢٦ القاهرة (١٣٣٠هـ)

(٢١) شواطىء الهند الغربية.

(٢٢) عبدالكريم غرابية: مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٩

اشتهر أحمد بن سعيد بإدراته الحازمة فعند وصوله إلى السلطة قام بوضع كثير من القوانين لإدارة جهاز حكومته مهتماً بصفة خاصة بإرساء القواعد الاقتصادية والقضائية والإدارية. ومع ذلك فان الظروف اضطرت الإمام أحمد إلى تكوين حكومته على شكل لامركزي حينما ترك اليعاربة والغافريين يمارسون سلطتهم على بعض مقـاطعـات البـلاد على الرغم من الجهود التي بذلها، لكي ينتزعها من سيطرتهم ويضمها إلى حكمه. والذي يؤخذ على الإمام أحمد مشاركة أبنائه معه في الحكم فقد كانت العواقب وخيمة في حياته وكان كثيرا مايضطر إلى التداخل ليحمى أبناءه من هجوم بعضهم على بعض، بل إنه كان يضطر أحيانا إلى حماية نفسـه من هجـوم أبنـائـه عليه. وهكـذا ورثت أسرة بوسعيد التنازع الأسري والاضطراب الداخلي(٢٣).

وقد حدثت فتنة أواخر عهد الإمام أحمد بو سعيد وبعد وفاته، فقد ثار عليه والداه سيف وسلطان كما ذكرنا واستطاع أحمد أن ينهى هذه الفتنة بصورة سلمية. وبايع الناس بعده ابنه سعيدا ولكنه ابنه حمد ثار عليه، وبدأت الاضطرابات في البلاد فخرج على حمد عمه سيف الذي فشلت ثورته ففر إلى زنجبار، وتولى حمد فحاول أبوه سعيد أن يستعيد السيطرة الفعلية إلا أن أخاه سلطان بن أحمد استولى على الحكم واستبد بالأمر(٢٤).

توصل سلطان بن أحمد إلى الحكم ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) فوجد عمان بلداً مجزءاً ومهدداً، فقد استقل إمام عمان في داخل البلاد متخذاً (رستاق) عاصمة له، وانفصل بنو غافر في البريمي والظاهرة، واستقر القواسم في رأس الخيمة والسواحل القريبة. ولم يبق بيد سلطان مسقط سوى ساحل الباطنة. ولم يمض زمن قصير على ولاية سلطان حتى كان إبراهيم بن سليمان بن عفيصان قد استقر في البريمي لنشر الدعوة الوهابية. وفرض الوهابيون معاهدة ولاء على القواسم عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وسيطروا على (الزبارة). وفشلت محاولات سلطان بن أحمد لصدهم، ولم يستطع الحصول على مساعدة شريف مكة. وألحق الوهابيون به هزيمة كبيرة وكادوا يحتلون مسقط نفسها لو لا وصول أنباء وفاة الأمير

(٢٣) جمال زكريا: المصدر السابق ص ٤٢

(٢٤) miles. S.B : op. cit. pp. 279-285

عبدالعزيز[٢٥].

ولكن سلطان نجح في مشروعاته الخارجية، فقد احتل (بندر عباس) و (هرمز) وبعض الموانيء في (مكران) على الساحل الفارسي. وعقد سلطان معاهدة مع بريطانيا عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) تعهد بموجبها بعدم التعامل مع فرنسا والسماح بإقامة وكالة بريطانية، وحاميةٍ عسكريةٍ في ميناء بندر عباس الإيراني التابع لإمام مسقط. ووصل إلى مسقط في العام التالي مندوب بريطاني استطاع أن يقنعه بقبول ممثل بريطاني في مسقط. وعادت علاقات الإمام بفرنسا ودّيةً بعد جلاء الفرنسيين عن مصر عام ١٢١٦[٢٦].

وقتل سلطان في طريق عودته إلى مسقط على يد القواسم في ١٣ شعبان ١٢١٩ هـ فنشبت فتنة بين ولديه سالم وسعيد وعمه سعيد الذي بقي إماماً رمزياً في (رستاق) واستنجد ولداه بشاه إيران ضد الوهابيين، ولكن الحملة الإيرانية فشلت في إبعاد الخطر الوهابي. وسيطر على الأمور بمساعدة الوهابيين بدر بن سيف الذي حكم باسم سعيد ابن سلطان، إلا أن سعيداً اغتاله وتسلم الحكم بنفسه عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) عمه قيس بن أحمد بن سعيد حاكم (صحار) للاستيلاء على الحكم[٢٧].

حكم سعيد بن سلطان ساحل عمان قرابة نصف قرن ١٢٢١-١٢٧٢ هـ (١٨٠٦-١٨٥٩ م) واستطاع في أوائل عهده أن يستعيد ممتلكاته الإفريقية التي شغلته عن كثير من الأمور الهامة في بلاده. وتعرض لخطر وهابي شديد فألحق به الوهابيون هزائم متعددة، فاشترك في حلف مع الانكليز ضد رأس الخيمة، كما شارك في الحملات التي أرسلها الانكليز لإخضاع رأس الخيمة والتي أدت إلى خضوع هذه الإمارات والمشيخات للإنكليز وإجبارها على توقيع ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) وعقد مع الانكليز عام ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠ م) معاهدة تجارية، كما وقّع معهم اتفاقيات لمكافحة تجارة الرقيق، ومنح الإنكليز إعفاءات جمركية واسعةٍ، وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر (كوريا موريا). ولكن بريطانيا لم تقدر

---

(٢٥) Wilson, A: op. cit. pp. 231-233

(٢٦) ج.ج. لوريمر: دليل الخليج جـ، قطر ١٩٧٥، ص ٦٦١-٦٧٠

(٢٧) المصدر السابق ص ٦٨٤ - ٦٨٩.

له صداقته حينما وقفت موقفاً عدائيا لعمان إبان النزاع بين عمان وإيران. فقد احتلت إيران المراكز العمانية في (بندر عباس) وساحل (كرمان)، وفي العام نفسه الذي تخلى فيه السلطان عن جزر (كوريا موريا) لبريطانيا. واستطاع السلطان أن يستعيد ممتلكاته الإيرانية إلا أن الشاه أرسل حملة ثانية فاحتلها، وتدخلت بريطانيا لتمنع السلطان من استعادتها، ولتفرض معاهدة إيرانية عمانية ١٢٧٢ هـ (١٨٥٩ م). تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الإيرانية. ومالبث سعيد أن توفي حزيناً بعد نصف عام[٢٨].

ونشبت فتنة بين أولاده ماجد وتركي وثويني. وتدخل الانكليز فقسموا الدولة بين ماجد وثوينى عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٤ م). ونال ماجد الممتلكات الإفريقية زنجبار وممباسا مقابل تعهده بدفع تعويض سنوي لسلطان مسقط. أما تركي فقد اعتصم في المناطق الجنوبية ورفض الاعتراف بسيادة أخيه الأكبر ثوينى، الذي حكم البلاد عشر سنوات كانت مليئة بالاضطرابات مما اضطره إلى أن يستنجد بالوهابيين الذين أنجدوه، ولكنهم فرضوا عليه دفع إتاوة سنوية. وكثر عليه الثوار فأنجده الانكليز وأمدوه بالمدافع والعتاد وشجعوه على غزو البريمي. وكافأ ثويني الإنكليز بمنحهم حقوق مد خطوط هاتفية، وفشل ثوينى في الاستفادة من الاتفاقية البريطانية الفرنسية الموقعة عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦٥ م) والتي اعترف فيها الطرفان باستقلال سلطنتى مسقط وزنجبار[٢٩].

وانتهت حياة ثويني نهاية مفجعةً. فقد تآمر ضده ابنه سالم واغتاله واعتقل تركي بن سعيد. واعترفت بريطانيا بسلطنة سالم ولكن أهل عمان لم يعترفوا به، وثاروا عليه بزعامة عزان بن قيس. كذلك أفلت تركي من سجنه واحتل (صحار)، وكاد يدخل مسقط لولا تدخل الانكليز الذين اعتقلوه ونفوه الى الهند. وكثرت الثورات على سالم ففر الى الرياض طالبا المساعدة الوهابية بعد أن تخلى عنه الانكليز، وبايع أهل عمان عزان بن قيس إماما، واحتل عزان واحة البريمي بالاشتراك مع حاكم أبو ظبي وشيخ بني عامر. واختلف عزان مع حلفائه الذين هزموه. وعاد أثناء ذلك تركي بن سعيد من الهند فتغلب على عزّان، وقتله وأعلن

(٢٨) عبدالكريم غرابية: مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١

(٢٩) جمال ذكريا قاسم: المصدر الساق ص ٢٥٥ ـ ٢٦٨.

نفسه سلطانا ١٢٨٨-١٣٠٥ هـ (١٨٧٠-١٨٨٧ م). أما البريمي فقد احتلها حاكم الشارقة وأعادها للوهابيين. وازداد النفوذ البريطاني في عهد تركي وابنه فيصل فقد عقد تركي معاهدة مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م)، واعترف بالقنصل البريطاني قاضيا يفصل في الخصومات بين الرعايا البريطانيين كما سمح للقنصل بحرس بريطاني. وتعهد تركي بألا يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته وألا يفرض قيوداً على التجارة إلا بموافقة بريطانية. ومع ذلك لم يقدم الانكليز له أية مساعدة عندما ثارت عليه القبائل عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) ولم يتدخلوا إلا بعد نجاحه في إخماد الثورة إذ قدمت له حكومة الهند كمية من الأسلحة والذخيرة[٣٠].

وكان تركي قد سمح للفرنسيين بفتح قنصلية وأعطى مثل هذا الحق للولايات المتحدة الأمريكية. وازداد فيصل تقربا من الفرنسيين فمنحهم حق إقامة مركز تموين للفحم، ولكن بريطانيا أجبرته على إلغاء هذا الامتياز. وخلف فيصلاً ابنه تيمور الذي حكم البلاد ثمانية عشر عاما ١٣٣١ - ١٣٥٠ هـ (١٩١٢-١٩٣٢) ثم تنازل عن السلطنة لابنه السلطان سعيد بن تيمور. وشغل تيمور وابنه سعيد بنزاع شديد مع سكان الداخل. فقد ثار سكان داخل عمان وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي إماما، وسيطر سالم على معظم عمان باستثناء مسقط وبعض الموانىء التي أعلنت بريطانيا حمايتها لها منذ عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م).

واضطر السلطان تيمور إلى توقيع معاهدة (المسيب) مع الإمام الجديد محمد بن عبدالله الخليل عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) ، اعترف بموجبها باستقلال عمان. وهكذا انقسمت البلاد الى قسمين: ١ - إمامة عمان في الداخل، ٢ - سلطنة مسقط على الساحل. وكان لكل من هذين القسمين حكومة صورية وحدود وهمية. غير أن السلطان نقض المعاهدة بايعاز من بريطانيا، وأرسل حملة عسكرية بقيادة ضابط بريطاني فاحتلت (نزوى) عاصمة إمامة عمان في ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)[٣١] وأصبحت البلاد موحدة تحت حكم السلطان سعيد بن تيمور ولم يهتم السلطان سعيد بترقية أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما

---

(٣٠) Wilson, A: OP.cit., PP.237-240

(٣١) زاهية قدوره: تاريخ العرب الحديث ص ٧٤ - ٧٥

اضطر بعض المخلصين بالتعاون مع ولده قابوس إلى إبعاد السلطان سعيد عن الحكم واستيلاء ولده قابوس في عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، والذي أخذ يعمل بسرعة على ترقية أحوال البلاد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي عهد السلطان قابوس الحالي دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم إثر استقلالها. وفي عهده كذلك تم القضاء على ثورة ظفار التي اندلعت قبل توليه السلطة بخمس سنوات[٣٢].

هـ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان ممتدة من الغرب إلى الشرق في سبع إمارات عربية هي: أبو ظبى، ودبى، والشارقة، وأم القيوين، عجمان، رأس الخيمة ثم الفجيرة التي تقع على خليج عمان.

وهذه الإمارات تشكل امتدادا طبيعيا لشبه الجزيرة لعربية يطل على خليج عمان والخليج العربي. وتبلغ مساحة هذه الدولة ١٦٧٫٠٠٠ ميل مربع ويسكنها حوالي نصف مليون نسمة، وقد أطلق على هذه الإمارات قبل استقلالها اسم مشيخات الساحل العماني، وأطلق عليها الاستعمار ساحل القرصان، ثم غُيّر هذا الاسم ليصبح مشيخات الساحل المهادن.

كان لهذه المنطقة دور هام في منطقتى ساحل عمان والخليج العربي قبل عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م)، ففي عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) أسس رحمة بن مطر القاسمي دولة امتد نفوذها على طول الساحل الشرقي والشمالي للخليج العربي وبلغت حدودها الشواطىء الهندية والبحر الأحمر، واستطاعت أن توطد أركانها بأسطول بحري ضخم كان يسيطر سيطرة شبه تامة على مياه الخليج والبحر العربي كله. واتخذ من الشارقة عاصمة له، ووقفت هذه العائلة (القواسم) على قدم المساواة في معاملاتها مع سلطان مسقط والأمير السعودي.

(٣٢) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الاسلامى حـ ص ٣٦٢-٣٦٣.

شهدت هذه الدولة أول انتصار لها على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون ساحل عمان كله سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م)، وبعد تقلص النفوذ الفارسي إثر وفاة نادر شاه عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) ازداد نفوذ القبائل العربية التي عادت إلى التجمع على ساحل الخليج بعد مدةٍ طويلة من الرعب والإرهاب والنزوح إبان الحكم البرتغالي، واستوطنت الساحل وأخذت تعمل في الصيد والسيطرة على البحار والاستيلاء على سفن الأعداء، إذ كانت تعّد أن هذا العمل جهاد إسلامي مشروع وعمل شريف في حين ان الأعداء يسمونه قرصنة، ولذلك أطلقت بريطانيا على هذا الساحل ساحل القرصان، وعندما تهادن معها سمى بالساحل المهادن. سيطر القواسم على الخليج سيطرة تامة وأثار ذلك حنق بريطانيا عليهم، لأنها عدت هجمات القواسم على سفن الانكليز في الخليج تدخلا في شؤون الامبراطورية البريطانية التي كانت تربطها علاقات تجارية واسعة بالشرق. فأرسلت الحملات البحرية البريطانية للقضاء على قوة القواسم (حكام الشارقة ورأس الخيمة) وبدأت أول حملة ١٢٢٠، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٣٤ هـ (١٨٠٥-١٨١٩ م) استطاعت في نهايتها تدمير رأس الخيمة، وكذلك تدمير أسطول القواسم، ووقعت بريطانيا مع شيوخ الإمارات معاهدة في عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) نصت على وقف الهجمات على السفن الأجنبية في الخليج، وبذلك أنهت هذه المعاهدة قوة العرب البحرية في مياه الخليج، وبدأت معها على الفور الحماية البريطانية على المنطقة بأسرها.

ولكن المعاهدة لم تتعرض للنشاط البري ولم تضع حدا للقتال البري بين الشيوخ، فقد وقعت عدة منازعات وخصومات بين شيوخ أبو ظبى و دبي، وكان شيخ الشارقة (سلطان) يقوم برأب الصدع وحل الخلافات بينهما. وبعد وفاة شيخ الشارقة سلطان تفككت إمارته فانفصلت أم القيوين وعجمان والفجيرة عن الشارقة. كما انفصلت مؤخراً رأس الخيمة في عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م). وعلى ذلك لم يكن في إمارات الخليج ذات دور مهم سوى الشارقة والتي لعبت دورا هاما في التاريخ الحديث.

نعود بعد ذلك إلى علاقة بريطانيا بدول الخليج، فمنذ أن سيطرت بريطانيا على هذا الساحل منذ عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م)، كانت هذه المعاهدات تخرق

بين الحين والحين، وتقوم بريطانيا بتجديدها سنويا كما فرضت معاهدة عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) مدتها عشر سنوات ثم جعلتها عام ١٢٧٠ هـ (١٨٨٨ م) معاهدة دائمة أبدية تعهد بموجبها شيوخ الشارقة، ودبي، والعجمان، وأم القيوين، وأبي ظبي بوقف الأعمال الحربية بحراً. وأتبعتها عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) بمعاهدة أعطت بريطانيا وضعا خاصا، وحرمت على الشيوخ التصرف بأرضهم ومنح امتيازات أو قواعد دون موافقة بريطانيا، ولم تمنحهم بريطانيا مقابل ذلك أية حماية ضد الغزو البري، بل تركتهم يحارب بعضهم بعضا، ومنحت بريطانيا نفسها حق القيام بأعمال قرصنة سياسية ضد هذه المشيخات، فنراها تهدد وتقصف رأس الخيمة أكثر من مرة. وتابعت بريطانيا هذه السياسة حتى في السنين الأخيرة. فقد قصفت الفجيرة عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) وحاصرت دبي عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) ولكن وقفت على الحياد عندما نشب القتال بين دبي وأبي ظبي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م). وكانت المحميات هذه تابعة لحكومة الهند البريطانية.

وكانت امارات ساحل عمان تخضع مباشرة للمقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) في إيران منذ عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٧ م) وحتى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، ثم انتقل المقيم السياسي البريطاني إلى البحرين، وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيماً سياسياً في الشارقة في العام نفسه، ثم أنشئت هناك عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) دار الاعتماد البريطاني نفسه، وانتقلت إلى دبي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٥٤ م). ونظمت بريطانيا مؤتمراً سنوياً للشيوخ فاجتمع المؤتمر الأول في ١٣٦٤ هـ (١٩٤٣ م) في البريمي برئاسة المندوب البريطاني، وشكلت بريطانيا عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) قوةً محليةً بقيادة بريطانيا جاوز عدد أفرادها الألف واستخدمتهم في عملية احتلال البريمي. ولعل هذه المنطقة من المناطق القليلة في العالم التي تستطيع فيها دولة كبيرة متمدنة أن تقوم بأعمال قرصنة دون أن يعلم الرأي العام العالمي، ليفرض على هذه الدولة وجوب اتباع خطط أكثر إنسانية.

ومن الجدير بالذكر أن المعاهدات اقتصرت على الشؤون الخارجية للإمارات وحفظ الأمن فيها، وأبقت الشؤون الداخلية طوال مدة الحماية في أيدى حكام

الإمارات الذين تعاقبوا على حكمها، غير أن التطورات المعاصرة في منطقة الخليج العربي حدت بحكام الخليج إلى أن يوحدوا إماراتهم، خاصةً بعد إعلان بريطانيا عن عزمها الانسحاب من منطقة الخليج في موعد أقصاه عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

وفي ١٨ شوال عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (حاكم أبو ظبي) بتشجيع من بريطانيا بزيارة إلى دبي وبحث مع حاكمها الشيخ راشد بن سعيد المكتوم إقامة اتحاد يضم الإمارتين المتجاورتين تكون مهمتها الإشراف على الشؤون الخارجية والدفاعية، والأمن، والخدمات الصحية، والتعليمية والسكانية لكل من الإمارتين. واتفق الحاكمان على دعوة حكام الإمارات السبع الأخرى، وكذلك البحرين وقطر للاجتماع في دبي، لمناقشة موضوع الدعوة إلى الاتحاد، ولبى الحكام الدعوة واجتمعوا في دبي في شهر ذي القعدة ١٣٨٧ هـ. وانبثقت عن هذا الاجتماع اتفاقية اتحاد الإمارات العربية التسع وهي الاتفاقية المعروفة «باتفاقية دبي» ونصت على أن يبدأ العمل بها في ١٣٨٨/١/١ هـ (١٩٦٨ م). وجاء في الاتفاقية أنه تم الاتفاق على إنشاء اتحاد للإمارات العربية في الخليج العربي، لتوثيق الصلات والعلاقات بين الإمارات العربية، وتقوية التعاون بينها، وتنسيق خطط تقدمها وتوحيد السياسة الخارجية والتمثيل الخارجي، ودعم الدفاع الجماعي لها ضمن احترام سيادة واستقلال كل منها.

وفي ٢٥ صفر ١٣٨٨ هـ عقد الاجتماع الأول للمجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية في مدينة أبوظبي، وقد تم فيه اختيار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد، وشكلت عدة لجان لمتابعة دراسة الموضوعات الأخرى. وعقدت الدورة الثانية للمجلس الاتحادي الأعلى في الدوحة (قطر)، وتقرر إنشاء قوة مسلحة برية للاتحاد.

وفي ٢٠ صفر ١٨٣٩ هـ (١٩٦٩ م) عقدت الدورة الثالثة للمجلس الاتحادى الأعلى واتفق فيها على أن يكون للمجلس الأعلى الاتحادي رئيس ونائب رئيس، ينتخبان من بين أعضائه لمدة سنتين، واتفق كذلك على تشكيل مجلس وزراء وعلى إنشاء علم واحد، وتشكيل لجنة لوضع الدستور المؤقت للاتحاد.

ووضع الدستور، وعقدت الاجتماعات، وظهرت صعوبات وعقبات، وبذلت حكومة أبو ظبي جهودا كبيرة لتذليل هذه الصعوبات والعقبات، ولم يكتب لهذه الجهود النجاح. كما فشلت جهود الوساطة الكويتية السعودية في عام ١٣٩١ هـ نحو تحقيق هذا الهدف.

ولما تعذر قيام اتحاد الإمارات التسع، سارع حكام إمارات الساحل العماني إلى الاجتماع في منتصف عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) في دبي حيث تكللت جهودهم بالنجاح بإقامة إتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني، وأعلن مولد دولة الإمارات العربية المتحدة في ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م). وتنفيذا لبيان المجلس الأعلى لحكام الإمارات الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩١ هـ اجتمع المجلس المذكور في شوال عام ١٣٩١ هـ، وأعلن رسميا قيام «دولة الإمارات العربية المتحدة» التي ضمت آنذاك ست إمارات هي: أبوظبي - دبي - الشارقة - عجمان - أم القيوين - الفجيرة. ثم لم تلبث إمارة رأس الخيمة أن انضمت بعد ذلك إلى الدولة الجديدة في ٢٤ ذي الحجة عام ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م)، وقد انتخب في احتفال رسمي حاكم أبو ظبي رئيسا لدولة الإمارات العربية المتحدة، كما انتخب حاكم دبي نائبا للرئيس، وعين ولي عهد دبي رئيسا لوزراء حكومة الاتحاد.

وفي اليوم نفسه الذي أعلن فيه قيام الدولة الجديدة اجتمع الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» رئيس الدولة مع السير «جيفري آرثر» المقيم السياسي البريطاني في الخليج حيث تبادل الطرفان وثائق إنهاء المعاهدات والاتفاقات السياسية، كما وقع الطرفان معاهدة صداقة لمدة عشر سنوات. وقد قبلت الدولة الجديدة عضوا في الجامعة العربية في شوال ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا في الشهر نفسه، وبعد ثلاث أيام فقط، وأصبحت العضو الثالث والعشرين بعد المائة.

ملحق خاص بالإمـــارات
(عـــام ١٣٩١ م)

الإمارة	عدد سكانها	مساحتها
أبوظبي	١٥٠٠٠٠ نسمة	٢٦٠٠٠ ميل مربع
دبي	١٤٠٠٠٠ نسمة	١٥٠٠ ميل مربع
الشارقة	٥٠٠٠٠ نيمة	١٠٠٠ ميل مربع
عجمان	٥٠٠٠ نسمة	١٠٠ ميل مربع
أم القيوين	٥٠٠٠ نسمة	٣٠٠ ميل مربع
رأس الخيمة	٥٠٠٠٠ نسمة	٦٥٠ ميل مربع
الفجيرة	١٠٠٠٠٠ نسمة	٤٥٠ ميل مربع

و ـ قطـــر

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي، وفيها تقع دولة قطر وعاصمتها الدوحة، ومن أشهر بلدانها (الزبارة) و (دخان)، وهي منطقة حقول الزيت، وتبلغ مساحة قطر ثمانية آلاف ميل مربع (١٧٫٥٠٠ كم٢) وسكانها زهاء مائتي ألف. وهي غنية بالنفط الذي نال امتيازه شركة قطر التي تشبه في تشكيلها شركة نفط العـراق. وبدأ إنتاج النفط عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وغدت قطر البلد الحادي عشر في إنتاج النفط في عالم[٣٣].

كانت قطر جزءاً من البحرين يحكمها حاكم من قبل آل خليفة وأحيانا يستقل بهذه المناطق، وفي كثير من الأحوال كانت منطقة البصرة أو اليمامة هي التي تشرف على المنطقة. وفي القرن الثامن الهجري ـ استولى بنو نبهان العمانيون على قطر،

(٣٣) د. عبدالكريم غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٠ دمشق ١٩٦١م

ولم يطل مقامهم بها، ومن بعدهم تناوب على قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد. وفي عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) استولى البرتغاليون على قطر، وفي عام ٩٤٣ هـ (١٥٣٧ م) أرسل السلطان سليمان القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا والي مصر لمحاربة البرتغال وطردها، ونجح هذا الأسطول في مهمته، فطرد البرتغال من البحرين، والقطيف، وقطر واستولى عليها، كما استولى على الأحساء. وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بنى خالد أن يطردوا العثمانيين سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) ويصبحوا حكام الأحساء.

وعندما قامت الدولة السعودية الأولى مدت سلطانها إلى قطر في عهد عبدالعزيز بن محمد، وأرسلت حملتين إحداهما سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧ م) بقيادة سليمان بن عفيصان، والثانية سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م) بقيادة ابراهيم بن عفيصان. وبعد سقوط الدرعية مدّآل خليفة أمراء البحرين سلطانهم إلى قطر(٣٤).

ولعـل من المفيد أن نتتبـع تطور القوى المحلية في قطر منذ البداية، فمن المعروف أن العتوب هاجروا من موطنهم في نجد في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، فنزلوا في منطقة قطر في ظل قبيلة آل مسلم التي كانت تحكم تلك المنطقة من شرقي الجزيرة العربية. وقد استقر العتوب في قطر مدة تقرب من نصف قرن، تعلموا خلالها ركوب البحر، وأصبحوا مهرة في شؤون البحار، وعرفوا صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية، وخبروا مزايا موقع أرضهم الجديدة في شرق الجزيرة العربية، وبمرور الوقت نمت القوة الاقتصادية البحرية للعتوب، وأصبحوا يمثلون خطراً حقيقيا لآل مسلم حكام قطر. وشعر هؤلاء ـ أي آل مسلم ـ أن استمرار وجود آل صباح وآل خليفة في قطر يشكل خطراً عليهم، لذا فقد نشب النزاع بينهم، واضطر العتوب (آل صباح وآل خليفة) إلى الهجرة بحراً نحو رأس تنورة في الأحساء، وتبعهم آل مسلم ليحطمـوا قواهم حتى لاتقـوم لهم قائمة بعد ذلك، وبعد تنقل وتشتت حطّ العتوب الرحال في ثغر الكويت، واستقروا بعد أن سمح لهم بنو خالد بالإقامة هناك (أي في الكويت)٠ واقتسم العتوب الحكم في الكويت، فكان لآل صباح إدارة شؤون الحكم ولآل خليفة إدارة شؤون التجارة، وللجلاهمة إدارة شؤون البحر. ومالبث آل خليفة

(٣٤) د. أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى ج٧، القاهرة ١٩٧٧، ص ٦٤٦

أن هاجروا من الكويت إلى قطر ثانيةً في عام ١١٨٠ هـ (١٨٦٦ م) اي بعد خمسة عشر عاماً من إقامتهم في الكويت[٣٥].

أسس آل خليفة مدينة الزبارة، وسرعان مانمت وازدهرت لتتحول إلى مركز تجاري نشيط، راح ينافس ميناءى العقير والقطيف على ساحل الأحساء بل وراح ينافس أيضاً موانىء الفرس على الخليج. وفي عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) كان بدء الصدام بين القوة النامية الجديدة وبين القوى القديمة التي أحست بخطر الوافد الجديد، فكان هجوم الفرس بقيادة الشيخ ناصر حاكم بوشهر على الزبارة، وقد دحر هذا الهجوم، وتراجعت السفن القادمة بعد أن تكبدت أفدح الخسائر، وكان من الطبيعي أن تحس القوى الجديدة بذاتها، وأن تزداد لديها التطلعات والآمال[٣٦].

وكان التطلع نحو البحرين هو هدف القوى المحلية، ففي عام ١١٩٨ هـ ١٧٨٣ م) قامت قبائل العتوب بغزو البحرين بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر، وحاصرتها لمدة امتدت حوالي الشهرين، وانتهى الحصار بفتح جزر البحرين، وبعد فتح البحرين تغير ميزان القوي في المنطقة، فبعد أن كان اهتمام آل خليفة مركّزاً في قطر، تحول هذا الاهتمام إلى البحرين. واذا كان دخول البحرين قد تحقق باتحاد قبائل قطر وتكامل وتحالف وقوة العتوب (آل خليفة والجلاهمة وآل صباح) إلا أن الجلاهمة خرجوا من الفتح دون أن ينالوا مايوازي ماقدموه. لذلك فان البنيان الجديد أخذ يهتز من داخله ويحمل بين طياته عوامل فنائه، إذ اجتاحته نزاعات، انتهت بانفصال قطر عن البحرين، بعد أن تبلورت في قطر قوة محلية تحت زعامة واحدة بقيادة قاسم آل ثاني[٣٧].

ونتيجة لما قدمه آل ثاني من مساعدات لآل حليفة في فتح البحرين، عين آل خليفة آل ثاني حكاماً لقطر يحكمونها باسمهم، وهكذا أصبح آل ثاني هم زعماء الشعب في قطر، وقد حافظوا على زعامتهم الشعبية منذ ذلك الحين، وكان ابنه

---

(٣٥) د. عبدالعزيز المنصور ود. فتوح الخدش: نشوء قطر وتطورها. الكويت دار ذات السلاسل ١٩٧٧ ص٣٩، ٤٠

(٣٦) لوريمر. ج.ج: دليل الخليج (التاريخي) جـ، ص ١١٩٧ (قطر ١٩٧٥)

(٣٧) عبد العزيز المنصور، وفتوح الخدش: نشوء قطر وتطورها، ص ٤١

الشيخ قاسم نائباً له في أثناء حياته، ولكنه كان من عظماء السياسة، فبدأ يستقل بالأمر دون أن يعود لاستشارة آل خليفة، فطلب آل خليفة من والده الشيخ محمد أن يرسل لهم ابنه الشيخ قاسم (لتجديد الصحبة ولإزالة الشبهة) فاستجاب لهم[٣٨]. إلا أن البحرين قد ألقت القبض عليه واعتقلته. وهاجم قومه البحرين لإنقاذه ولكنهم هزموا، وتعقبتهم قوات البحرين إلى ساحل قطر، وكان ذلك عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م)، وتمكن أهل قطر من اختطاف أحد أقارب شيخ البحرين، ثم أخلوا سبيله مقابل فك أسر الشيخ قاسم الذي أصبح سيد قطر الفعلي[٣٩].

وكان لتدخل بريطانيا أثر كبير في فصل قطر عن البحرين، فقد عقدت بريطانيا اتفاقية مع الشيخ محمد آل ثاني زعيم قطر تعهد فيها بألا يقوم بأي عمل عدواني ضد جيرانه، كما تعهد بألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر، بل عليه أن يحل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه بتوجيهها إلى المقيم البريطاني للفصل فيها[٤٠] وحددت بريطانيا كذلك العلاقات بين قطر و البحرين. وقد وضع هذا الاتفاق أساس استقلال قطر عن البحرين. وكان على قطر أن تدفع ضريبة لحاكم البحرين غير أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي تولى الحكم بعد أبيه امتنع عن دفع الضريبة مدعماً بذلك استقلاله[٤١].

وقد وحد الشيخ قاسم ١٢٩٥ - ١٣٣٢ هـ (١٨٧٧-١٩١٣ م) قطر، وقضى على مناوئيه فتألق نجمه، وعلت مكانته، ومن هنا خشي العثمانيون أن يخرج عن طاعتهم كما فعل آل خليفة، فهاجمت القوات العثمانية قطر عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧٠ م) واحتلتها وأجبرت الشيخ قاسم على الفرار، واعترف العثمانيون أول الأمر بزعامة أحمد أخي قاسم ثم اعتقلوه. ولكن الشيخ قاسم تمكن من إلحاق هزيمة بالعثمانيين وتحرير أخيه واستعادة سيطرته على قطر. ونجح قاسم في صد حاكم أبي ظبي، واستعادة الدوحة منه، وفرض عليه صلحاً عام

(٣٨) مصطفى كامل الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها، ص ١٧٧
(٣٩) عبدالكريم غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٢٥٩
(٤٠) لوريمر. ج.ج: دليل الخليج جـ، ص ١٢١٦
(٤١) أمين الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته، ص ١١٣

١٣٠٣-١٣٠٦ هـ (١٨٨٥-١٨٨٨ م)، وفشلت محاولة قاسم لغزو البحرين عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) إذ تدخل الأسطول البريطاني، وحطم قوارب الغزو القطرية، وفرض على الشيخ قاسم معاهدة صلح[٤٢]

وكان الشيخ قاسم سيىء العلاقة بالانكليز يعارض سياستهم ولايسير في فلكهم، مما جعل بريطانيا تتحين الفرصة للانتقام منه، واغتنمت بريطانيا فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى، وجلاء القوات والنفوذ العثماني عن قطر، ففرضت في عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) معاهدة حماية على قطر بعد أن تنازلت لها الدولة العثمانية عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) عن حقوقها في قطر في العام الذي توفي فيه الشيخ قاسم. وقد جاء في هذه الاتفاقية «تتنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر في حكمها الشيخ قاسم بن ثاني وخلفاؤه من بعده، وتعلق الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين في أمور قطر الداخلية أو ضمها إلى أراضيها»[٤٣]

خلف الشيخ قاسم ابنه الشيخ عبدالله الذي لم يكن في حزم أبيه ومكانته، فأصبح النفوذ البريطاني في عهده قوياً وعقد معاهدة مع بريطانيا، وفي عهده اكتشف النفط فمنح امتيازاً لاستثمار النفط عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٤ م)، وظل الشيخ علي في الحكم حتى عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) وفي عهده حدثت زيادة هائلة في النفط في قطر نتج عنه ارتفاع في مستوى المعيشة وزيادة في العمران. ولكن الشيخ علي تنازل لابنه الشيخ أحمد ليصبح أميراً لقطر، ونصت وثيقة التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ابن أخي الشيخ علي) ولياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد، وقد ظل الازدواج قائماً حتى عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) حيث عزل الشيخ أحمد، وأصبح الشيخ خليفة بن حمد هو أمير قطر وحاكمها، وما زال حتى اليوم، وهو الذي أعلن استقلال البلاد عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)[٤٤].

---

(٤٢) عبدالكريم غرابية: تاريخ العرب الحديث، ص ٢٦٠

(٤٣) مصطفى الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها، ص ١٩٤

(٤٤) المرجع السابق.

ز- البحريـــن

مجموعة من الجزر تقع في الخليج الكائن بين شبه جزيرة قطر وساحل المنطقة الشرقية (الأحساء) بالمملكة العربية السعودية، لاتزيد مساحتها جميعا على ٥٧٥ كيلو متراً مربعـاً. ويزيد عدد الجـزر على إحدى عشرة جزيرةً، أكبرها جزيرة البحرين التي أعطت اسمها للدولة كلها، والذي أخذته من اسم المنطقة كاملةً، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة (أوال).

سبق أن ذكرنا أن بني خليفة وهم من العتوب قد غادروا القرين (الكويت) مغاضبين أبناء عمومتهم آل الصباح لسبب من الأسباب، واتجهوا نحو الجنوب، ورغبوا في الاستقرار في جزيرة البحرين، ولكن حكام الجزيرة من بني مدكور من قبيلة المطاريش لم يسمحوا لهم بذلك مما اضطرهم إلى متابعة السير إلى (الزبارة) في قطر فنزلوا فيها عام ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) بإمرة شيخهم محمد بن خليفة، وكانت المنطقة من ديار بني مسلم.

حصن آل خليفة الزبارة، وحصلوا على نوعٍ من الاستقلال الذاتي ولما طالبهم آل مسلم بدفع الزكاة لهم رفضوا ذلك، ولم يمضِ بعد على استقرارهم أكثر من عامين. وعمل آل خليفة بصيد اللؤلؤ، ونمت تجارتهم، وعفوا البضائع من الرسوم فتطورت مدينتهم وجذبت إليها عدداً من القبائل الأخرى منها عدد من العتوب من الكويت، مثل قبيلة الجلاهمة التي منها آل جابر أشهر قبائل العتوب في ركوب البحر، وكان المهاجرون من الكويت من الكثرة حتى اضطر أهل الزبارة الى رفض بعضهم وطردهم وإعادتهم إلى الكويت.

ضعفت دولة آل خالد في المنطقة وحصل كثير من أتباعهم على الاستقلال مثل آل الصباح في الكويت، وآل مسلم في قطر، وسار على طريقهم آل خليفة في (الزبارة).

وقع خلاف بين آل خليفة وآل جابر، واعتزل آل جابر في منطقة (الرويس)، وعملوا في بناء أسطول خاص بهم، ثم تجدد الخلاف فقتل زعيم آل جابر، وأبيد

أكثرهم، ولم ينج منهم إلا القليل واكثرهم من النساء والأطفال.

وحصل نزاع بين آل خليفة في (الزبارة) وبين حكام (بوشهر) و (والدورق) و (بندر رق) وهؤلاء لهم السيطرة على جزيرة البحرين، ونتيجة الصراع سيطر آل خليفة على جزيرة البحرين.

وبدأ الصدام بين السعوديين في الأحساء وآل خليفة في (الزبارة)، وذلك عام ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م)، ابتدأ السعوديون بالهجوم على الزبارة بقيادة إبراهيم بن عفيصان وألقوا الحصار على المدينة، ولما اشتد الأمر على سكانها قرروا إخلاءها وتخريبها وارتحلوا عنها بصورة جماعية إلى البحرين، إلا أن قادتهم قد وقعوا أسارى بين ابن عفيصان الذي عيّن حاكماً على البحرين من قبله.

رجع سلمان بن خليفة عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) حاكماً على البحرين، ولكنه تعرض في العام التالي لهجوم سلطان مسقط عليه، إلا أن هذا الهجوم قد فشل غير أنه نجح في المرة الثانية بعد سنة، وفتحت مدينة المنامة أبوابها لسلطان مسقط الذي نقل بعض الرهائن من آل خليفة إلى مسقط على حين هرب بعضهم إلى (الزبارة).

واستطاع آل خليفة بعد عامين من الرجوع إلى جزيرتهم، وكان النفوذ السعودي ينتشر في البحرين فاستعان آل خليفة بالسعوديين ضد العمانيين. وتوطدت العلاقات بين آل سعود وآل خليفة، وخاصة عندما رجع سلمان بن خليفة إلى الحكم بمساعدة عبد العزيز بن محمد آل سعود عام ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م)، بعد أن أجبر على تركه بسبب هجوم سلطان عمان.

تمكن الجيش السعودي من طرد سلطان عمان، ولكنه أخذ بعض آل خليفة إلى نجد حيث احتجزهم الإمام سعود الكبير هناك. لكن آل خليفة استعانوا بأعدائهم السابقين العمانيين ضد السعوديين. وأخرج السعوديون من البحرين بمساعدة الأمير عبدالله بن أحمد الذي ثار عليه بعد مدة أحد أبناء عمومته، وهو محمد بن خليفه بن سلمان، الا أن محمداً هذا قدهزم في معركة (الناصفة) فالتجأ إلى عبد الله بن ثنيان من آل سعود، وكان وقتذاك في المنطقة الشرقية. ولكن ابن ثنيان لم يستفد من خلاف آل خليفة لأن حكمه قد انتهى بمجيء فيصل

بن تركي. فذهب محمـد بن خليفـة يطلب النجـدة من قطر فحصل عليها، واستطاع الانتصار على ابن عمه عبدالله بن أحمد، وتسلم الحكم عام ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م).

فَر عبد الله بن أحمد إلى إيران، وطلب النجدة، ولكنه لم يوفق، أما من الجهة الثـانية فقـد تمكن الإمـام فيصل بن تركي آل سعود من دخول مدينة الدمام وانتزاعها من أيدي البحرانيين، وأراد السيطرة على البحرين كلها.

انتقل عبدالله بن أحمد إلى الدمام ولكنه لم يستفد شيئاً، وتوفي عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م)، وصفـا الجـو لمحمد بن خليفة الذي استمر في الحكم حتى عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م)، وكان قد عقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م).

انتقل الحكم إلى علي بن خليفة بعد وفاة محمد غير أنه قتل بعد عدة أشهر بيد أخيه ناصر، ولكن عيسى بن علي قد قبض على زمام الأمر، وتسلم الحكم حتى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٦ م)، وعقد معاهدة عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) مع بريطانيا وجددت عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢ م) وبموجبها لايحق لأمير البحرين أن يتنازل عن أي جزء من أراضيه إلى أية جهة سوى بريطانيا، ولا أن يعقد أية علاقة مع أية دولة دون علم بريطانيا، وأن يقيم مستشار بريطاني في المنامة بجانب الأمير.

توفي الأمير عيسى بن خليفة عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) فتسلم الحكم بعده ابنـه أحمد حتى عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وفي عهده وجد النفط في البلاد بكميات تجارية. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وقعت بريطانيا نيابة عن شيخ البحرين معاهدة تمنح الحكومة الأمريكية بموجبها حق اتخاذ البحرين مقراً لقيادة أسطولها في الشرق الأوسط.

تسلم الحكم في البحرين بعد وفاة الأمير أحمد ابنه سلمان حتى عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)، وقـد طرد سلمان المستشـار البـريطاني من البـلاد عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) وبدأت البلاد تسير نحو الاستقلال الذي تم في عهد عيسى بن سلمان الـذي لايزال أميراً على البلاد، إذ أجري استفتاء في البحرين من قبل الأمم

المتحدة استقلت على إثره عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وانضمت إلى الأمم المتحدة والى جامعة الدول العربية.

ح ـ الكـويـت

تقع الكويت في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي على هيئة مثلث، ضلعه الشمالي عند حدود العراق، وضلعه الجنوبي على مشارف المملكة العربية السعودية، وضلعه الثالث الشرقي على شاطىء الخليج العربي. ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ كيلو مترا وعرضها من الشرق الى الغرب ٣٨ كيلومترا ومساحتها ١٥٠٠٠ كم٢، وعدد سكانها حوالي مليون وربع مليون. وأرضها صحراوية قارية المناخ ترتفع درجة الحرارة فيها صيفا إلى ٤٨° درجة مئوية في الظل أثناء النهار، ولا تهطل فيها أمطار إلا نادرا وتفتقر إلى الينابيع. ويقع على طول الساحل عدد من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة بوبيان، وهي أكبرها ولكنها غير مسكونة، وجزيرة فيلكا التي يسكنها عدد قليل(٤٥).

ولم يكن اسم الكويت معروفاً قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فقد كانت منطقة الكويت تحمل اسم القرين بسبب وقوعها على خليج الكويت الذي يشبه القرن، أما كلمة (كويت الحالية) فهي تصغير لكلمة كوت، والكوت عبارة عن حصن صغير كان موجوداً فيها، وبناه محمد بن عريعر زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على تلك المناطق فأقام فيها بعض أتباعه، واتخذوا منه مستودعا للزاد والذخيرة، ومايحتاجون إليه، فإذا أرادوا الغزو شمالاً أو المرعى قريبا من ذلك الحصن تزودوا بما يريدون، ونسبة إلى الكوت سميت الكويت، وذلك بعد هجرة آل الصباح اليها.

والواقع أن استقرار الحكم لآل صباح في الكويت قد مر بمراحل عدة، فقد هاجر آل الصباح من نجد ومعهم آل خليفة وبعض جماعات العتوب، فوصلوا إلى الزبارة في شبه جزيرة قطر، فأقاموا فيها بعض الوقت غير أنهم لم يلبثوا أن

(٤٥) عبدالكريم غرايبة: تاريخ العرب الحديث ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥

غادروها إثر معركة دارت عند رأس تنورة رغم أن النصر كان حليفهم، ومن ثم واصلوا سيرهم بحراً حتى وصلوا الى منطقة الكويت. فنزلوا بجوار كوت بني خالد استأذنوهم في النزول فرحب بنو خالد بهم وكان ذلك عام ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م). فاتفق جماعة العتوب على إدارة شؤون البلاد إدارة مشتركة، على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم، وأن يتولى آل خليفة شؤون المال والتجارة في حين يتولى الجلاهمة شؤون العمل في البحر. فاستقل آل صباح بحكم الكويت ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) بعد أن هجرها آل خليفة وتبعهم الجلاهمة، واختار اهل الكويت في عهدهم وازدادت أهميتها مما أدى الى قيام نوع من العلاقات المحلية والمنافسات الدولية بشأنها.

وأقام آل الصباح علاقات ودية مع القوي المحلية المجاورة، فاتفقوا مع بني خالد على حسن الجوار وعدم الانضمام إلى أعدائهم مقابل استقلال آل الصباح في حكم الكـويت، ولكنهم (آل صبـاح) مالبثوا أن تخلصوا من هذا الارتباط واستقلوا بالكويت. أما بالنسبة لبنى كعب (أمراء عربستان) فقد كانوا يسيطرون على الخليج ويفرضون الضرائب على سكان المنطقة، ولكن آل صباح رفضوا أن يدفعوا هذه الرسوم، فجرت معركة بحرية بين الطرفين في موقعة الرقة وانتصر فيهـا الكـويتيون بقيادة الشيخ عبـدالله الأول الصبـاح ١١٧٦ - ١٢٢٩ هـ (١٧٦٢ - ١٨١٧ م)، وتابع الكويتيون حروبهم مع بنى كعب في عهد الشيخ جابـر الأول الملقب بجـابـر العيش، ١٢٢٩ - ١٢٧٦ هـ (١٨١٧ - ١٨٥٩ م) وأحرزوا انتصارات كثيرة مكنتهم من توطيد نفوذهم في البلاد. وساعد آل صباح أبناء عمومتهم من آل خليفة حينما استولوا على البحرين.

ونمت الكويت بسرعة وازداد عدد سكانها، وأصبح لها أسطول تجاري من ثمانمائةً مركب شراعي، كما ازدادت أهميتها التجارية بعد سقوط البصرة. وتعرضت الكويت أواخر عهد عبدالله لخطر الوهابيين. وتدخل الانكليز لمنع الجيش المصري من التمركز في الكويت عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) فاكتفوا بإرسال مندوب سياسي إليها. وفي عهد الشيخ جابر الأول توطدت علاقة الكويت مع العثمانيين، وقدم لهم مساعدات عسكرية، وذلك بسبب الهجمات الوهابية على الكويت. ولم يحدث ما يستحق الذكر في عهد صباح ١٢٧٦ - ١٢٨٤ هـ (١٨٥٩ - ١٨٦٦ م) سوى

تأزم العلاقات بينه وبين عبدالله بن فيصل آل سعود.

وازداد النفـوذ العثـماني في عهـد عبـدالله الثـاني بن صبـاح بن جابـر (١٢٩٣ ـ ١٣٠٩ هـ (١٨٧٥ ـ ١٨٩١ م)، فقـد اتبـع عبـد الله سياسـة موالية للعثمانيين فعينه مدحت باشا قائمقام (أي متصرفاً) على الكويت مرتبطا بولاية البصرة. وقـدم الشيخ عبـدالله مساعدة عسكرية للحملة العثمانية التي أرسلها مدحت باشا لاحتلال الأحساء. وخلفه في الحكم أخوه محمد ١٣٠٩ ـ ١٣١٣ هـ (١٨٩١ ـ ١٨٩٥ م) والذي كان كأخيه موالياً للعثمانيين وشارك محمد أخاه جراحاً بالحكم فأغضب بذلك الأخ الثالث مبارك. واعترفت الحكومة البريطانية في عهده في عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) بتبعية الكويت للعثمانيين.

استولى مبارك على الحكم ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) بعد أن قتل أخويه محمداً و جراحـاً، وعمل على النهوض بالكويت فزاد من عمرانها، واتسعت مساحتها، وكثرت منازلها، وتقدمت تجارتها، وزادت ثروتها بفضل الاهتمام بحرفة الغوص، واستتب الأمن والنظام في عهده، وأسس أول مدرسة نظامية والتي حملت اسمه (المدرسة المباركية) ولاتزال قائمة حتى اليوم.

ومنذ أن تولى مبارك الحكم ساءت علاقته بالدولة العثمانية خاصة بعد أن فر يوسف آل إبراهيم وأولاد محمد وجراح الى البصرة، واستنجدوا بوالي البصرة ضد مبارك معترضين على الطريقة التي استولى بها مبارك على الحكم، غير أن الدولة العثمانية اضطرت للاعتراف به حاكما على الكويت. ولجأ يوسف إلى قاسم بن ثاني شيخ قطر فاستعان مبارك بمتصرف الأحساء واستنجد يوسف بابن الرشيد فهزم ابن الرشيد مباركاً في معركة (الصريف) ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وكان الأمير عبدالرحمن بن سعود و ابنه عبدالعزيز قد لجآ إلى الكويت فرارا من ابن الرشيد. ولكن مباركاً ساعد آل سعود ضد ابن الرشيد فتمكن عبدالعزيز آل سعود من احتلال الرياض ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) واستراح مبارك بعد أن تخلص من أعدائه إثر وفاة خصيمه يوسف آل إبراهيم وابن الرشيد.

ولكن علاقاته مع الدولة العثمانية ظلت متوترة، فقد رفض السماح للعثمانيين بتعيين مشرف عثماني لميناء الكويت وإيفاد موظف للحجر الصحى، واقامة دار عوائد فيها. ووجود قوات عثمانية في الكويت. فوجهت الحكومة العثمانية إنذارا

إلى الشيخ مبارك طلبت فيه أن يتخلى عن بريطانيا، وعرضت على مبارك عضوية مجلس الشورى في استانبول أو الإقامة في أي مكان والتخلي عن مشيخة الكويت على أن تدفع له مرتباً كبيراً. واستنجد مبارك بالانكليز الذين أيدوه وعقد معهم معاهدة ١٣١٦ هـ (١٨٩٩ م) تعهد فيها بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية.

والـواقـع أن محاولات بريطانيا ومسـاعيها المستمرة قد كللت بالنجاح، فقد حاولت بريطانيا مراراً قبل عهد الشيخ مبارك أن تعقد معاهدة ولكن محاولاتها باءت بالفشـل، الا أنها نجحت مع الشيخ مبارك الذي تعهد بجعل سياسته الخارجية مرتبطة ببريطانيا كما ألزم نفسه وورثته من بعده بألا يتنازل أو يؤجر أو يبيع أو يرهن أي جزءٍ من أراضيه إلى حكومة أخرى دون موافقة بريطانيا.

ويمكن تفسير هذه الاتفاقية (المعاهدة) على أنها التزام من جانب واحد هو الكويت، وليس فيه التزام من جانب بريطانيا. وقد حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية على امتيازات مختلفة منها حظر استيراد الأسلحة إلى الكويت أو تصديرها، وإقامة مكتب بريد انكليزي وإقامة لاسلكي واتفاق حول النفط.

ووقف الشيخ مبـارك إثر ذلك موقفاً حازماً من العثمانيين. فلم يرحب بالبعثة الألمـانية التي وصلت إلى الكـويت عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) برئاسة القنصل الألماني في بغداد لدراسة خط حديد برلين بغداد وانتقم منه العثمانيون بمصادرة أملاكه في البصرة. وسويت علاقاته بالعثمانيين الذين تخلوا عن الكويت واعترفوا بالأمـر الـواقـع، وأعـادوا إليه أملاكه في البصرة. وحاول مبارك بدوره مجاملة العثمانيين فتبرع لضحايا حريق استانبول عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)، كما تبرع لحرب طرابلس فمنحه السلطان العثماني الوسام المجيدي، وتنازل العثمانيون عن الكويت عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) واعترفوا بمركز بريطانيا الممتاز فيها. كذلك اعترف ابن سعود بالوضع الجديد في الكويت. وأيد مبارك الحملة البريطانية ضد البصرة أثناء الحرب العالمية الأولى، فتعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلاله تحت الحماية البريطانية.

وفي عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) توفي الشيخ مبارك، وخلفه في الحكم ابنه جابر الذي حكم لمدة سنتين فقط والذي خفض الرسوم على تجارة اللؤلؤ وأعفى الناس من ضريبة العقارات، وفي عهده عقد مؤتمر الكويت لحكام الخليج لدعم ثورة

الشريف حسين. وخلفه في الحكم أخوه سالم والذي عمل على تنمية التجارة في عهده فخفض الرسوم الجمركية على الواردات إلى ٤٪، وألغى كافة الرسوم عن الصادرات، وربط الكويت بالعالم الخارجي عن طريق محطة البرق. وأقيم في عهده سور الكويت لحمايتها من الأعداء. أما سياسته الخارجية فقد تميزت بالتوتر مع بريطانيا والسعوديين، فقد رفض محاولات بريطانيا فرض حصارٍ على بلاده لمنع تصدير الأسلحة للعثمانيين في بلاد الشام، ولكه اضطر تحت التهديدالانكليزي بوضع لجنة مراقبة انكليزية في ميناء الكويت إبان فترة الحرب. وبالنسبة لعلاقته مع السعوديين فقد ساءت بسبب مسألة الحدود بين البلدين وجرت معركة (حمض) ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) جنوبي الكويت هزم فيها الكويتيون واضطروا إلى بناء السور، كما وقعت معركة (الجهراء) ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) والتي كاد يسيطر فيها السعوديون بقيادة فيصل الدويش لولا تدخل بريطانيا. وظلت العلاقات سيئة مع أن أهل الخير حاولوا إصلاح ذات البين بين السعوديين والكويتيين إلا أن القدر لم يمهل الشيخ سالماً ليرى نتيجة الصلح.

تولى الشيخ أحمد الجابر ١٣٤١-١٣٧٠ هـ (١٩٢٢-١٩٥٠ م) الحكم عقب وفاة عمه الشيخ سالم، وقد شهدت البلاد نهضة في عهده فقد شكل مجلس الشورى، ومجلس البلدية، والمعارف، والمجلس التشريعي، وذلك استجابة لرغبات المواطنين بالاشتراك بالحكم إلا أن هذه التجربة فشلت لأن الشيخ أحمد الجابر لم يرد لها النجاح بسبب الخلاف بين الحكومة والمجالس. وقد عني كذلك بتشجيع الحركة العلمية والأدبية والفكرية في الكويت، كما أسست في عهده الدوائر الحكومية، وتدفق النفط في عهده بكميات تجارية صارت تصدر منذ عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) ونجح الشيخ أحمد الجابر في حل مشكلاته مع السعوديين وخاصة مسألة الحدود المسابلة (التجارة) فقد نجحت بريطانيا بحل هذه المشكلات بعد عقد مؤتمر العقبة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) لحل مشكلة الحدود. وتوطدت علاقته مع السعودية ومع البلاد العربية الأخرى.

وخلفه في الحكم ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الصباح ١٣٧٠-١٣٨٥ هـ (١٩٥٠-١٩٦٥ م)، وقد عمل الشيخ عبدالله على توجيه ثروة البلاد وطاقاتها وإمكاناتها لتطوير الكويت في نظم الحكم والادارة والنهوض بها في جميع الشؤون